دلالة سور التكوير والانفطار والانشقاق على أحداث يوم القيامة
دراسة أسلوبية مقارنة

عمر علي حسان عرفات *

ملخص

تشترك مجموعات من سور القرآن في الدلالة على موضوع واحد، كموضوع يوم القيامة، أو القصص، أو أحداث السيرة النبوية، لكن مع ذلك تبقى لكلّ سورة منهن أسلوبها وشخصيتها الخاصة في الدلالة على هذا الموضوع المشترك. ويقوم هذا البحث على دراسة مقارنة بين سور ثلاث تشترك في الدلالة على موضوع واحد وهو يوم القيامة، وهي: التكوير، والانفطار، والانشقاق، للوصول إلى معرفة الأسلوب والشخصية المميزة لكلّ سورة منهن، واستخلاص بعض الفوائد واللطائف من ذلك.

الكلمات الدالة: سورة التكوير، سورة الانفطار، سورة الانشقاق، يوم القيامة.

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فقد أكرم الله أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن العظيم، وجعله لها نوراً، وهدى ورحمة، فهو المعين الذي لا ينضب، والسراج المنير، لا تنقضي عجائبه، أعجزت بلاغته الحكماء والبلغاء فوقفوا أمامه متحيرين من دقة نظمه وإحكامه .

وقارئ القرآن يدرك أن فيه مجموعات من السور اشتركت من حيث اسمها ومحتواها في الدلالة على موضوع واحد، كما ترى في دلالة سور متعددة على موضوع يوم القيامة، كسورة الواقعة، والقيامة، والحاقة، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة وغيرها، لكن القارئ المتدبر سيجد أن هذه السور الدالة على موضوع واحد يوجد بينها فروقات تميز كل واحدة منها عن الأخرى، ومن هذه الفروقات يمكن استنباط الأسلوب المميز والشخصية المميزة لكل منها، وبذلك يبرز أحد أوجه إعجاز القرآن الكريم، فبالرغم من اشتراك عدد من سوره في الدلالة على موضوع واحد، إلا أنه لا يوجد تكرار حقيقي بينها، بل كل سورة تعرض جانباً متعلقاً بالموضوع الواحد من ناحية مختلفة عما تعرضه السور الأخرى.

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث الذي يقوم على عقد دراسة مقارنة بين ثلاث سور من القرآن هي: التكوير، والانفطار، والانشقاق، التي تدل على موضوع واحد هو يوم القيامة، ويعود اختصاص هذه السور الثلاث دون غيرها بالدراسة لعدة أسباب، أولاً: أن بينها تشابهاً شديداً في الأسلوب، فقد افتتحت كل واحدة منهن بالظرف (إذا)، وكان هذا الظرف على صيغة الفعل بدون تأكيد بالمصدر كما حصل في سورة الواقعة التي ذُكر في مقدمتها المصدران: رجاً و بسًّا، أو الزلزلة التي ذُكر في مفتتحها المصدر: زلزالها، واشتركت السور الثلاث بظرف متعلق بالسماء: (وإِذا السَّماءُ كُشِطَتْ) التكوير: 11، (إذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ) الانفطار: 1، (إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ) الانشقاق: 1، واشتركت سورتا التكوير والانفطار بظرفين متعلقين بالنجوم والكواكب والبحار: (وإذا النُّجومُ انكَدَرَتْ *وإذا الجبالُ سُيِّرَتْ) التكوير: 2، 3 ، (وإذا الكواكِبُ انتَثَرَتْ * وإذا البِحارُ فُجِّرَتْ) الانفطار: 2، 3.

وكانت تاء التأنيث هي الفاصلة في آيات مطلع السور الثلاث، بدون تأكيدٍ بالمصدر كما حصل في سورة الزلزلة أو الواقعة.

وقد اشتركت سورتا التكوير والانفطار في التعبير عن مصير الإنسان بالعبارة ذاتها تقريباً: (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ) التكوير: 14، (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) الانفطار: 5، واشتركت سورتا التكوير والانشقاق بالحديث عن الظواهر الكونية الدنيوية بالأسلوب ذاته تقريباً . وهو أسلوب القسم . وبأرقام آيات متتابعة: (فلا أُقسِمُ بالخُنَّسِ) التكوير: 15، (فلا أُقْسِمُ بالشَّفَقِ) الانشقاق: 16.

وقد اشتركت سورتا الانفطار والانشقاق بنداء للإنسان وبذات رقم الآية: (يا أَيُّها الإِنْسَانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ) الانفطار: 6، (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحَاً فَمُلاقِيْهِ) الانشقاق: 6.

ثانياً: قرب هذه السور الثلاث من بعضها في القرآن، فمنهن سورتان متتاليتان هما التكوير والانفطار، ثم تأتي سورة الانشقاق

---

* وزارة التربية والتعليم، الأردن. تاريخ استلام البحث 2017/4/18، وتاريخ قبوله 2017/11/5.

© 2019 عمادة البحث العلمي / الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

بعد سورة واحدة تفصل بينها هي المطففين. وثالثاً: حجم السور الثلاث يكاد يكون واحداً فكل واحدة منهن حجمها صفحة تقريباً.
رابعاً: لعل قوله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ سَرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: (إِذَا الشَّمسُ كُوِّرَتْ)، و (إذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ)، و (إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ) » [1]، يؤيد أن هذه السور الثلاث قد اختصت بأمور مشتركة دالة على يوم القيامة جعلتها حرية بقصر قوله صلى الله عليه وسلم عليها دون غيرها من سور القرآن.

فهذه بعض الأمور المشتركة بين هذه السور الثلاث من حيث الألفاظ والأسلوب والموضوع. مما يجعلها حرية بدراسة مستقلة تبرز شخصية كل واحدة منهن وأسلوبها في الدلالة على موضوع يوم القيامة.

مشكلة البحث:

يتناول هذا البحث دلالة السور الثلاث: التكوير، والانفطار، والانشقاق على يوم القيامة، ويهدف إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما الدلالة اللغوية والسياقية المميزة لكلٍ من أسماء هذه السور الثلاث على يوم القيامة.

ما الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في عرض مشاهد يوم القيامة.

ما الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في عرض مصير الإنسان يوم القيامة.

ما الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في إثبات قدرة الله على يوم القيامة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

التعرف على الدلالة اللغوية والسياقية المميزة لأسماء هذه السور الثلاث على يوم القيامة.

التعرف على الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في عرض مشاهد يوم القيامة.

التعرف على الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في عرض مصير الإنسان يوم القيامة.

التعرف على الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في إثبات قدرة الله على يوم القيامة.

منهجية البحث:

المنهج التحليلي: القائم على النظر التحليلي في الدلالات اللغوية والسياقية لأسماء السور الثلاث، وفي أسلوب كل واحدة منهن في عرض مشاهد يوم القيامة ومصير الإنسان فيه وإثبات قدرة الله عليه.

المنهج الاستنباطي: القائم على استنباط أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بين السور الثلاث فيما يتعلق بموضوع يوم القيامة ومصير الإنسان فيه وقدرة الله تعالى عليه.

المنهج الوصفي: القائم على وصف أهم النتائج واللطائف المستنبطة من البحث.

الدراسات السابقة:

تناولت بعض الأبحاث العلمية المحكمة موضوع هذا البحث من نواح متخصصة وبدون عقد مقارنة بين السور الثلاث من حيث الأسلوب، كما تجد في الأبحاث الآتية:

ـ (سورة التكوير، دراسة دلالية) الذي تناول سورة التكوير من الناحية الدلالية والإعرابية لألفاظ هذه السورة على موضوعاتها، وبينت الباحثة فيه بعض أوجه الأعجاز البياني في انتقاء الألفاظ المستخدمة في هذه السورة، ولكن البحث قد خلا من المقارنة بين سورة التكوير وبين سورتي الانشقاق والانفطار.[2]

ـ (مشاهد يوم الدين كما صورته سور التكوير) وقد تناول كيفية عرض هذه السورة للمشاهد الأخروية التي وردت فيها، وبيان بعض اللطائف البلاغية في كيفية هذا العرض، ولكن البحث كذلك قد خلا من المقارنة بين سورة التكوير والسورتين الأخريين.[3]

ـ (من أسرار النظم القرآني في سورة الانشقاق) وقد تناول بعض نواحي الإعجاز البياني للقرآن الكريم في نظم هذه السورة الكريمة، وكيف كان القرآن معجزاً في انتقاء الألفاظ الأنسب ووضعها في المكان الأنسب، لكن البحث كذلك الأمر قد خلا من المقارنة مع السورتين الأخريين.[4]

هيكلية البحث:

تقوم هيكلية البحث على تمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة:

* التمهيد: الدلالة اللغوية والسياقية المميزة لأسماء السور الثلاث على يوم القيامة

أولاً: الدلالة اللغوية والسياقية لاسم سورة التكوير.
ثانيا: الدلالة اللغوية والسياقية لاسم سورة الانفطار.
ثالثاً: الدلالة اللغوية والسياقية لاسم سورة الانشقاق.

* المطلب الأول: الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في عرض مشاهد يوم القيامة
أولاً: أسلوب سورة التكوير في عرض المشاهد المتعلقة بيوم القيامة.
ثانياً: أسلوب سورة الانفطار في عرض المشاهد المتعلقة بيوم القيامة.
ثالثاً: أسلوب سورة الانشقاق في عرض المشاهد المتعلقة بيوم القيامة.

*المطلب الثاني: الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في عرض مصير الإنسان يوم القيامة:
أولاً: أسلوب سورة التكوير في عرض مصير الإنسان يوم القيامة.
ثانياً: أسلوب سورة الانفطار في عرض مصير الإنسان يوم القيامة.
ثالثاً: أسلوب سورة الانشقاق في عرض مصير الإنسان يوم القيامة.

*المطلب الثالث: الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في إثبات قدرة الله تعالى على يوم القيامة:
أولاً: أسلوب سورة التكوير في إثبات قدرة الله تعالى على يوم القيامة.
ثانياً: أسلوب سورة الانفطار في إثبات قدرة الله تعالى على يوم القيامة.
ثالثاً: أسلوب سورة الانشقاق في إثبات قدرة الله تعالى على يوم القيامة.
*الخاتمة.

***التمهيد: الدلالة اللغوية والسياقية المميزة لأسماء السور الثلاث على يوم القيامة**

أولاً: الدلالة اللغوية والسياقية لاسم سورة التكوير:

سورة التكوير سورة مكية، تتمحور حول التهديد بيوم الوعيد، من خلال وصف الأهوال التي تتقدمه، وإثبات حقيقة الوحي، واسمها (التكوير) يشير إلى أحد أعظم حوادث يوم القيامة المذكورة في هذه السورة، والشمس أبرز آيات السماء التي هي من فوقنا، كما وأن السورة فيها إيقاع عام أشبه بحركة جانحة تنطلق من عقالها فتقلب وتهز كل شيء.(5)

أما الدلالة اللغوية لاسم السورة، فقد اشتق اسمها من الآية الأولى فيها وهي قوله تعالى: (إِذَا الشَّمسُ كُوِّرَتْ) التكوير: 1، ويعود اسم هذه السورة لغةً إلى الجذر)كور(، يقول ابن فارس:)كور: الكاف والواو والراء أصل صحيح يدل على دَوْرٍ وتجمُّع، ومن ذلك: الكَوْر: الدَّور، يقال: كارَ يَكورُ إذا دار، وكَوْرُ العمامة: دَوْرُها ... ومنه قوله تعالى: (إِذَا الشَّمسُ كُوِّرَتْ) كأنها جُمعت جمعاً((6)، ويؤكد ذلك الأصفهاني إذ يقول:)كَوْرُ الشيء: إدارتُه وضمُّ بعضه إلى بعض، ككوْرِ العمامة((7). ومن المعاني التي ذكرها ابن منظور لهذا الجذر: (وتكوير الليل على النهار: أن يلحق أحدهما بالآخر، وكورت الشمس: جُمِعَ ضوءها ولفَّ كما تُلَفُّ العمامةُ)(8) فالتكوير في اللغة يدل على الحركة والدوران والتجمع والضم. و)إذا(ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن لمعنى الشرط، و)الشمس(نائب فاعل بفعل مقدر يفسره ما بعده(9)، أو أن تكون (الشمس) هي المسند إليه دون تقدير أفعال محذوفة تفسرها الأفعال المذكورة.(10)

ويلاحظ في الآية التي اشتُقَّ منها اسمُ السورة تقدم الشمس على الفعل، فلم يقل: إذا كورت الشمس، وفي ذلك دلالة على الاهتمام بها وتقوية الحكم وتأكيده(11)، ويلاحظ أيضاً أن الفعل)كورت(جاء على صيغة ما لم يسمَّ فاعله، للدلالة على عظمة الله الآمر بتكوير الشمس سبحانه وتعالى.(12)

أما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى نسبة فعل التكوير إلى الشمس، الذي جاء في الظرف الأول من الاثني عشر ظرفاً التي افتتحت بها هذه السورة، ويمكن تلخيص الأقوال المقبولة التي ذكرها المفسرون حول الدلالة السياقية لاسم السورة الدال على تكوير الشمس إلى قولين: أولهما: أن يكون من كورتُ العمامةَ إذا لففتها، فيكون معناه أنه سيُلفُّ ضوء الشمس فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق، وثانيهما: أن يكون من كوَّره إذا ألقاه، فيكون معناه أن الشمس ستُلقى وتُطرح عن فلكها(13). وهما قولان متفقان

مع ما يقوله أصحاب التفسير العلمي، إذ ذكروا أن الشمس (لها ألسنة طويلة من اللهب تعد بمئات آلاف من الكيلومترات، وحينما تخبو جذوتها تفقد جزءاً من هذه الألسن إلى أن تتكور تكوراً كاملاً)[14]، وبذلك يكون اسم السورة (التكوير) متسقاً تناسقاً علمياً مع قوله تعالى في هذه السورة عن النجوم: (وإذا النجوم انكدرت) وقوله: (فلا أقسم بالخنس، الجوار الكنس) وهو يصف حالة النجوم بعد أن تتكور تكوراً كاملاً فتتكدر حتى تصبح نجوماً كانسة خانسة كما سيأتي بيانه إن شاء الله. فهذه مجرد أقوال علمية يستأنس بها، ويبقى التكوير المقصود من اسم السورة أمراً غيبياً لا يعلم حقيقة كيفيته أو وقته إلا الله تعالى القادر على كل شيء.

فاسم السورة من حيث السياق يدل على أن مَن خلق الشمس وجعل لها مداراً خاصاً بها في الدنيا، قادر على أن يجعلها تتكور يوم القيامة فيَفسُد جرمُها ويَخْتلُّ نظامُها، ويُدمَّر العالم الدنيوي ليبدأ العالم الأخروي.

*ثانياً: الدلالة اللغوية والسياقية لاسم سورة الانفطار:

سورة الانفطار مكية، مقصودها التحذير من الانهماك في الأعمال السيئة اغتراراً بإحسان الرب وكرمه، ونسياناً ليوم الدين الذي سيحاسب فيه على النقير والقطمير، ولا تغني نفس عن نفس شيئاً، واسمها (الانفطار) أدل ما فيها على ذلك، لأنه يدل على الانقلاب الكوني الذي سيحدث يوم القيامة.[15]

اشتق اسم هذه السورة من الآية الأولى فيها وهي قوله تعالى: (إِذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ) الانفطار: 1، ويعود اسم هذه السورة لغةً إلى الجذر (فطر)، قال ابن فارس: (فطر: الفاء والطاء والراء أصلٌ صحيح يدل على فَتْح شيء وإبرازه)[16]. فالفطر في اللغة يدل على الفتح والإبراز. و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، و (السماء) إما أن تكون فاعلاً لفعل محذوف يدل عليه المذكور، أو أن تكون هي المسند إليه على الخلاف المذكور عند قوله تعالى (إِذَا الشَّمسُ كُوِّرَتْ).

ويلاحظ في الآية التي اشتُقَّ منها اسمُ السورة تقدم السماء على الفعل، فلم يقل: إذا انفطرت السماء، وفي ذلك دلالة على الاهتمام بها وتقوية الحكم وتأكيده[17]، ويلاحظ أمر آخر وهو أن الفعل جاء على صيغة المبني للمعلوم، بخلاف ما جاء في سورة التكوير في الفعل: (كُوِّرت)، وهذا يدل على أن السماء بعظمتها تبادر من تلقاء نفسها بالاستجابة إلى أمر الله فتنفطر[18]، فاسم السورة يدل على التهويل والتعظيم لشأن يوم القيامة.

أما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى نسبة فعل الفطر إلى السماء إعلاناً لبدء يوم القيامة، واسم السورة جاء في الظرف الأول من الظروف الأربعة التي افتتحت بها، ومعنى انفطار السماء كما يقول البقاعي: («إذا السماء» على شدة إحكامها واتساقها، «انفطرت» أي انشقت شقوقاً، أفهمَ سياقُ التهويل أنه صار لُبَابُها أطراف كثيرة فزال ما كان لها من الكرية الجامعة للهواء الذي الناس فيه كالسمك في الماء)[19]. ويبدو لي أن البقاعي لم يقبل أن يكون لاسم هذه السورة (الانفطار) نفس دلالة اسم سورة (الانشقاق)، ولذلك ذكر أن سياق التهويل أفاد أن انفطار السماء قد أوصلها إلى مرحلة الفصل والتباعد، وهي مرحلة أقوى أثراً من الانشقاق، وسيأتي ذكر كلامه عند سورة الانشقاق، وقال ابن عاشور معرفاً انفطار السماء: (انفراجٌ يقع فيما يسمى بالسماء، وهو ما يشبه القبة في نظر الرائي)[20]، ويمكن أن يستنبط من السياق الذي ذُكر فيه اسم هذه السورة دلالة التهويل والتعظيم، فالفعل هنا أسند إلى السماء، وليس إلى الشمس كما في سورة التكوير، والسماء أعظم بكثير من الشمس، وقد جاء الفعل هنا على صيغة المبني للمعلوم (انفطرت)، وليس على صيغة المبني لما لم يسمَّ فاعله، ليدل على أن السماء بعظمتها تبادر من تلقاء نفسها بالاستجابة إلى أمر الله فتبدأ بالانفطار. لكن لما كانت الشمس آية أقل شأناً من السماء، جاء الفعل في سورة التكوير على صيغة ما لم يسمَّ فاعله للدلالة على عظم قدرة آمر الشمس سبحانه وتعالى، وللدلالة على سرعة استجابة الشمس لأمر خالقها فتبدأ بالتكوير.

ومن اللطيف أن اسم السورة متسق اتساقاً علمياً دقيقاً مع قوله تعالى واصفاً الكواكب: (وإذا الكواكب انتثرت)، إذ بين الأستاذ الدكتور زغلول النجار أن نهاية الكواكب هو الانتثار والانفجار[21]، ولا يخفى أن هذا متسق مع دلالة اسم السورة (الانفطار). في حين أن نهاية النجوم هو التكوير والانكدار والطمس وهو متسق مع اسم السورة السابقة (التكوير).

*ثالثاً: الدلالة اللغوية والسياقية لاسم سورة الانشقاق:

سورة الانشقاق مكية، تثبت حقيقة البعث ليوم القيامة من خلال بيان أن أولياء الله ينعمون، وأعداءه يعذبون، لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث ولا بالعرض على الملك الذي أوجدهم، واسم السورة (الانشقاق) أدل دليل على ذلك بتأمل الظرف وجوابه، وقد أكدت السورة ذلك بعرضها مشاهد الانقلاب الكوني المتميزة بطابع الاستسلام لله، استسلام السماء والأرض والإنسان لله تعالى في طواعية وخشوع ويسر.[22]

اشتق اسم هذه السورة من الآية الأولى فيها وهي قوله تعالى: (إِذا السَّماءُ انْشَقَّتْ) الانشقاق: 1، ويعود اسم هذه السورة لغةً

إلى الجذر (شق)، قال ابن فارس: (شقّ: الشين والقاف أصل واحد صحيح يدل على انصداع في الشيء، ثم يحمل عليه ويشتق منه على معنى الاستعارة، تقول: شققتُ الشيء أشقُّه شقاً، إذا صدعتُه)[23]. وأكد ذلك الأصفهاني بقوله: (الشَّقُّ: الخَرمُ الواقع في الشيء)[24]. وقريب من هذا قول ابن منظور: (الشقُّ: الصدع البائن، وقيل غير البائن، وقيل: هو الصدع عامة)[25]، فالشق في اللغة يدل على الصدع والخرم، و(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، و (السماء) فاعل لفعل محذوف دل عليه المذكور، أو هي المسند إليه على الخلاف المذكور عند قوله تعالى: (إذا الشمس كورت).

ويلاحظ تقدم السماء على الفعل، فلم يقل: إذا انشقت السماء، وفي ذلك دلالة على الاهتمام بها وتقوية الحكم وتأكيده، ويلاحظ هنا أن الفعل جاء على صيغة المبني للمعلوم، بخلاف ما جاء في سورة التكوير في الفعل: (كُورت)، وهذا يدل على أن السماء بعظمتها تبادر من تلقاء نفسها بالاستجابة إلى أمر الله فتنشق، وظاهرٌ أن الشق أقل دلالة على التهويل من الفطر، وكأن السماء تبدأ بالانشقاق حتى تصل إلى الانفطار، فالتهويل في سورة الانفطار أظهر، وقد أكد هذا الأصل اللغوي للجذر (فطر) الذي سبق بيان أنه يصل إلى مرحلة الفتح والإبراز، وللجذر (شق) وهو يدل على الصدع والخرم.

وأما الدلالة السياقية لاسم السورة فتعود إلى نسبة فعل الشق إلى السماء إعلاناً لبدء يوم القيامة، واسم السورة جاء في الظرف الأول الذي افتتحت به السورة، وقد جاء مؤكداً بقوله تعالى: (وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ) الانشقاق: 2، ومعنى انشقاق السماء كما يقول البقاعي: («إذا السماء» أي على ما لها من الإحكام والعظمة والحكمة الذي لا يقدر على مثلها غيره جلت قدرته، «انشقت» أي فصارت واهية وفتحت أبواباً فتخربت وتهدمت) [26]، ويلاحظ أن البقاعي لم يذكر شيئاً عن سياق التهويل كما فعل في سورة الانفطار، وقد فسر (الانشقاق) بما جاء في آيات أخر متعلقة بحال السماء يوم القيامة[27]، ولكن يمكن أن تستنبط دلالة الخضوع والاستسلام من الظرف الثاني في هذه السورة: (وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ) الانشقاق:2.

واسم السورة متسق تماماً مع دلالة الاستسلام والطواعية التامة لأمر الخالق العظيم سبحانه وتعالى، فقد ذكر الأستاذ الدكتور زغلول النجار أن اسم السورة يدل على هولٍ من أهوالها تنشق فيه السماء وتتصدع، فتتحول إلى ما يشبه الورد الأحمر أو الأديم الأحمر، كما قال تعالى في سورة الرحمن: (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان): 37، أو تنصهر كالدردي وهو ما يركد في أسفل كل مائع كالشراب والأدهان، فتكون كالمهل أو كالدهان الأحمر اللون، ولكن كيف يتم ذلك؟ هو في علم الله لأن الآخرة لها من القوانين والسنن ما يغاير قوانين وسنن الدنيا[28]. فكأن انشقاق السماء بداية الاستسلام لأمر الله تعالى حتى تصل إلى مرحلة الفطر التي عبر عنها اسم السورة السابقة.

ويمكن تلخيص الدلالة اللفظية والسياقية لأسماء السور الثلاث بالقول بأنه: في سورة التكوير جاء الفعل مبنياً على صيغة ما لم يسم فاعله، لأن الشمس جرم أصغر بكثير من السماء، فاستعيض بما يدل على عظمة مكورِّها سبحانه وتعالى، ويدل فعل التكوير على سرعة استجابتها لأمر الله تعالى المعلن بدء يوم القيامة، وفي سورة الانفطار جاء الفعل منسوباً إلى السماء، وهي آية أعظم بكثير من الشمس، والفعل فيها مبني للمعلوم ليدل على أنها مع عظمتها ستبادر من تلقاء نفسها بالانفطار استجابة لأمر ربها، ويدل فعل الفطر المسند إلى السماء على تهويل أمر يوم القيامة، وفي سورة الانشقاق جاء الفعل كذلك مسنداً إلى السماء بصيغة المبني للمعلوم ليدل على استجابتها من تلقاء نفسها لأمر ربها، ولما كان فعل الانشقاق أقل دلالة على التهويل من فعل الفطر، جاء مؤكَّداً بدلالة استسلامها لهذا الأمر وانصياعها له.

فاسم سورة التكوير يعطي دلالة سرعة الاستجابة، واسم سورة الانفطار يعطي دلالة التهويل والتعظيم، واسم سورة الانشقاق يعطي دلالة الاستسلام والانقياد.

*المطلب الأول: الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في عرض مشاهد يوم القيامة

*أولاً: أسلوب سورة التكوير في عرض المشاهد المتعلقة بيوم القيامة:

يقول تعالى: (إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ * وإذا النُّجومُ انكَدَرَتْ * وإذا الجبالُ سُيِّرَتْ * وإذا العِشَارُ عُطِّلَتْ * وإذا الوحوشُ حُشِرتْ * وإذا البِحارُ سُجِّرتْ * وإذا النُّفوسُ زُوِّجتْ * وإذا المَوْءودةُ سُئِلتْ * بأيِّ ذنبٍ قُتِلَتْ * وإذا الصُّحفُ نُشِرَتْ * وإذا السَّماءُ كُشِطَتْ * وإذا الجَحيمُ سُعِّرت * وإذا الجنَّةُ أُزْلِفَتْ): التكوير: 13.1.

أول ما يلاحظ على أسلوب سورة التكوير في عرض المشاهد الأخروية هو كثرة الظروف المعطوفة على بعضها، والتي بلغت اثني عشر ظرفاً، وهذا الإطناب في عطف الظروف لم يتكرر في أي سورة أخرى جاء اسمها متعلقاً بيوم القيامة[29]، ويلاحظ ثانياً على أسلوب سورة التكوير أن (الإيقاع العام للسورة أشبه بحركة جائحة، تنطلق من عقالها، فتقلب كل شيء، وتنثر كل شيء، وتهيج الساكن وتروع الآمن، وتذهب بكل مألوف وتبدل كل معهود، وتهز النفس البشرية هزاً عنيفاً طويلاً، يخلعها من كل ما

اعتادت أن تسكن إليه وتتشبث به)[30]، وهذه الحركة الجائحة إنما يمكن تحسسها من الظروف المتعددة المعطوفة على بعضها البعض بدون فواصل، مما يشعر بسرعة هذه الحركة وقوتها، وفيما يلي بيان أسلوب سورة التكوير في عرض المشاهد الأخروية المتعلقة بيوم القيامة:

أولاً: تكوير الشمس، وقد تم الحديث عنه في المطلب الأول، وتبين أن الشمس التي طالما كانت آية دالة على عظمة الخالق، والإنسان في غفلة وإعراض عن هدى خالقها، ستأخذ بالتكوير إعلاناً عن بدء يوم القيامة استجابة لأمر خالقها ومكوِّرها سبحانه وتعالى.

ثانياً: انكدار النجوم، والنجم جرم سماوي متوهج، مشتعل، مضيء بذاته، ومن مسببات هذا الاشتعال الاندماج النووي في داخل جسم النجم[31]، ومعنى انكدار النجوم: إظلامها وانطفاء شعلتها، وهو يتوافق مع أصحاب التفسير العلمي الذين يقولون أننا هنا أمام تصريح قرآني علمي لم يكتشف إلا حديثاً، إذ أثبت العلم أن نهاية النجوم هي الانكدار، ونهاية الكواكب هي الانفجار والانتثار كما سيأتي في سورة الانفطار. وأن انكدار النجوم معناه (تضاؤلُ جذوتها بالتدريج حتى يخبو وهجها ويضعف ضوؤها)[32]، وذِكْر انكدار النجوم متلائم تماماً مع ذكر تكوير الشمس، فالشمس نجم من النجوم، وتكورها هو أحد مراحل انكدارها وخبو جذوتها كما ذُكر قبل قليل.

لكن يلاحظ هنا أن فعل الانكدار قد جاء على صيغة المبني للمعلوم، على عكس فعل التكوير، وذلك يعطي دلالة أن انكدار النجوم (كان كأنه بأنفسها من غير فعل فاعل في غاية الإسراع)[33]، وأعتقد أن سبب التغاير في صيغة الفعلين إنما يعود إلى اعتبار أن النجوم بعيدة المرأى عن الإنسان، وعددها كبير لا يحصى، ولعله من أجل ذلك جاء الفعل على صيغة المبني للمعلوم للدلالة على أنها بالرغم من بعدها عن مرأى الإنسان وعددها الكبير ستبادر من تلقاء أنفسها بالاستجابة إلى أمر ربها فتأخذ بالانكدار، لكن لما كانت الشمس قريبة المرأى من الإنسان وهي واحدة وليست متعددة كالنجوم، جاء فعل التكوير على صيغة ما لم يسم فاعله، للدلالة على عظمة خالقها ومكورها سبحانه. والله أعلم.

ثالثاً: تسيير الجبال، وتسييرها: معناه نسفها وبَسُّها وتذريتها في الهواء حيث يذهب ثباتها ورسوخها، وقد يكون ذلك في مبدأ الزلزال الذي يصيب الأرض يومئذ[34]، ويلاحظ أن فعل التسيير جاء على صيغة ما لم يسمَّ فاعله كفعل التكوير، وذلك لأن الجبال آية ظاهرة للإنسان من آيات الله في كونها سهلة المرأى كالشمس، فجيء بالفعل على هذه الصيغة للدلالة على عظمة خالقها ومُسيِّرها سبحانه، فطالما كانت الجبال آية دالة على عظمة الخالق سبحانه، ولكن الإنسان في غفلة وإعراض عن هدى الخالق عز وجل.

رابعاً: تعطيل العشار، والعشار: النوق الحوامل التي مر على حملها عشرة أشهر، وتعطيلها: إهمال أصحابها لها . مع كونها أنفس أموالهم . بسبب ما يرونه من أهوال يوم القيامة[35]، وفعل التعطيل هنا قد جاء أيضاً على صيغة ما لم يسمَّ فاعله، للدلالة على عظمة الله الذي سيجعل أصحاب هذه النوق يُهْملون رعايتها مع نفاستها، فطالما كانت هذه النوق من آيات الله الدالة على عظمة خالقها[36]، ولكن الإنسان في غفلة وإعراض عن هدى الخالق.

خامساً: حشر الوحوش، والوحوش: الحيوانات غير المستأنسة، وحشرها: جمعها من كل ناحية في مكان واحد لا يعدو بعضها على بعض لشدة رعبها[37]، وفعل الحشر هنا قد جاء على صيغة ما لم يسمَّ فاعله، للدلالة على عظمة الله تعالى القادر على حشر هذه الوحوش من كل حدب وصوب في صعيد واحد، على اختلاف أجناسها وأنواعها، فالله الذي خلقها أول مرة وبثها في بقاع الأرض قادر على حشرها يوم القيامة، وفي ذلك دلالة لا تخفى على قدرته تعالى على حشر البشر لينال كل منهم صحيفته كما سيعرض السياق بعد قليل.

سادساً: تسجير البحار، وتسجيرها له معنيان: إما إنه يعني إحماء النار وإيقادها فيها حتى تصبح البحارُ ناراً متأججة وقد يكون ذلك بانفصال عنصرَيْ الماء وهما: الهيدروجين والأكسجين فينتج عن ذلك اشتعال النار، أو أنها ستملأ بالماء حتى تفيض على اليابسة[38]، وهما معنيان متوافقان مع قول أصحاب الأعجاز العلمي الذين يقولون أن 97.5 % من الماء العذب على اليابسة محجوز على قطبي الأرض، وفوق قمم جبالها، فإذا انصهر هذا الجليد يُقدَّر له أن يرفع مستوى منسوب الماء في البحار والمحيطات بأكثر من مائة متر، وقد أثبت العلم أن قاع البحار والمحيطات قد أحمته الصهارة الصخرية المندفعة من داخل الأرض فجعلته شديد الحرارة، فلو زادت كمية هذه الصهارة المندفعة قد تجعل ماء البحر كله . وليس قاعها فقط . شديد الحرارة[39]، وفعل التسجير هنا قد جاء على صيغة ما لم يسمَّ فاعله، للدلالة على عظمة الله تعالى القادر على جعل البحار تضطرم ناراً يوم القيامة، فطالما كانت هذه البحار آية دالة على عظمة خالقها، ولكن الإنسان في غفلة وإعراض عن هدى الخالق.

فيلاحظ أن السورة تعرض ما سيحصل لهذه الآيات الكونية التي طالما دلت على عظمة خالقها، والإنسان يعرض ويكذب

ويستكبر ! فهذه الآيات ستسارع إلى الاستجابة إلى أمر ربها فتتغير طبيعتها معلنة بدء يوم القيامة العظيم.

ويلاحظ أن الأفعال المرتبطة بهذه الظروف قد جاءت كلها على صيغة ما لم يسمَّ فاعله، وذلك للدلالة على عظمة آمرها سبحانه، وذلك أبلغ في الدلالة على إعراض الإنسان عن هدى خالق هذه الآيات التي يراها الإنسان دائماً، اللهم إلا فعلاً واحداً وهو الذي ارتبط بالنجوم، وقد جاء مبنياً على صيغة المبني للمعلوم لأن علم الإنسان بها قليل بالمقارنة مع باقي الآيات المذكورة.

سابعاً: تزويج النفوس، وتزويجها له معنيان أيضاً: إما أن يكون بمعنى جمع الأرواح مع أجسادها، أو أن يُجمع كل صنف من الناس مع بعضهم البعض، فيجمع المؤمنون مع بعضهم، والكافرون مع بعضهم(40)، ويلاحظ أن فعل التزويج جاء على صيغة ما لم يسم فاعله، للدلالة على عظمة قدرة الله تعالى إذ سيزوج كل روح لجسدها منذ بدء الخليقة على الأرض، أو سيجمع أصناف الأنفس مع بعضها بعضاً منذ بدء الخليقة على الأرض.

ثامناً: سؤال الموءودة، وسؤالها يقصد منه تقريع وائدها الذي سيُسأل عن موءودته: بأي ذنبٍ قُتلت، (فإن قلت: فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذي قتلت به، وهلا سُئل الوائد عن موجب قتله لها؟ قلت: سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت لمَن عَبَد المسيح في قوله تعالى لعيسى: أأنت قلت للناس... إلى قوله: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق)(41)، والفعل هنا أيضاً جاء على صيغة ما لم يسم فاعله، للدلالة على شدة التقريع الممزوج بالتهويل من عظمة السائل سبحانه وتعالى، الذي سيسأل الوائدين عن سبب وأدهم بناتهم، ويلاحظ هنا أن هذا الظرف وحده من الظروف الاثني عشر جاء مفصولاً بعبارة عن الظرف الذي يليه، والعبارة هي: (بأيِّ ذنبٍ قُتِلَتْ)، ويستفاد من ذلك شدة الإنكار والتقريع على هذا الفعل القبيح الذي كان يفعله الجاهليون. وكأن هذا الظرف له هول خاص به يزيد على هول الظروف الأحد عشر المذكورة.

تاسعاً: نشر الصحف، ونشرها: تطايرها في الهواء حتى تقع في يد كل إنسان صحيفته الخاصة به، فإما أن يؤتى صحيفته بيمينه إن كانت أعماله صالحة، أو بشماله إن كانت أعماله سيئة(42)، وقد ناسب ذِكْرُ الصحفِ التي يكون حساب المرء على ما كتب فيها، ذِكْرَ سؤالِ الموءودة عن سبب وأدها، وقد جاء الفعل أيضاً على صيغة ما لم يسمَّ فاعله، للدلالة على عظمة قدرة الله تعالى القادر على إيتاء كل إنسان صحيفته الخاصة به، ودون زيادة أو نقصان فيما كُتب فيها، وذلك يدل على قدرته تعالى على إحصاء جميع أعمال العباد ليجازيهم بها الجزاء العادل.

عاشراً: كشط السماء، وكشطها: (قلعها بقوة عظيمة وسرعة زائدة، وإزالتها عن مكانها التي هي ساترة له محيطة به)[43]، والفعل هنا قد جاء على صيغة ما لم يسمَّ فاعله، للدلالة على عظمة الله تعالى القادر على كشط السماء في ذلك اليوم، إذ طالما كانت هذه السماء آية دالة على خالقها، ولكن الإنسان يعرض ويكذب ويستكبر، كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وهُمْ عن آياتِها مُعْرِضُون) الأنبياء: 32.

ويلاحظ أمر آخر، وهو تأخير ذكر السماء . التي هي آية أعظم بكثير من الشمس . في هذه السورة، مع كونها أول آية في سورتي الانفطار والانشقاق، وأعتقد أن السبب في ذلك هو أن السياق في سورة التكوير لا يقصد منه التهويل بقدر ما يقصد منه الدلالة على سرعة استجابة هذه الظواهر الكونية . التي طالما كانت آيات دالة على الله . لأمر خالقها المعلن بدء يوم القيامة. لذلك جعلت الشمس في سور التكوير هي الآية الأولى واشتق منها اسم السورة، لأن دلالة تكوير الشمس الدالة على السرعة في الخروج عن الانتظام أكثر اتساقاً مع باقي الآيات الدالة على ذلك في السورة من كشط السماء، فالشمس آية أبرز عياناً للناظر من السماء، لأنها جِرم يستطيع الإنسان النظر إليه كجرم كامل، والسماء ليست كذلك، وثانياً: أن آيتي الليل والنهار المذكورتين في السورة والناتجتين عن دوران الأرض حول الشمس متسقتان مع ذكر الشمس أكثر من ذكر السماء، والله أعلم. وسبق كذلك بيان أن التهويل أمر مشترك بين سورتي الانفطار والانشقاق على نحو أكبر من سورة التكوير، مما يعلل ذكر السماء في الآية الأولى لكل منهما.

أحد عشر: تسعير الجحيم، وتسعيرها: إيقادها بشدة وتهيئتها لعذاب أهل النار[44]، والفعل هنا قد جاء على صيغة ما لم يسمَّ فاعله، للدلالة على عظمة الله تعالى القادر على تسعيرها، وكأن السياق يقول: إن القادر على كشط السماء قادر على تسعير النار، ويلاحظ التشديد في فعل التسعير، لزيادة الدلالة على تهيئتها واستعدادها لتلقي أهلها وتعذيبهم.

ثاني عشر: تزليف الجنة، وتزليفها: تقريبها وإدناؤها من أهلها[45]، وفي ذلك تكريم لهم، وقد ناسب ذكرُ تزليف الجنة ذكرَ تسعير النار، والفعل هنا جاء على صيغة ما لم يسم فاعله، للدلالة على عظمة الله القادر على تزليفها، فكما هو قادر على تسعير النار لتعذيب أهلها، فهو قادر على تزليف الجنة لتكريم أهلها.

فيلاحظ أولاً: أن هذه الظروف التي تعلق معظمها بظواهر كونية، قد جاءت أفعالها على صيغة ما لم يسمَّ فاعله، وقد دل ذلك على أمرَيْن، أولهما: بيان عظمة الخالق العظيم، فكما هو قادر على خلقها أول مرة وجعلها آيات دالة عليه في هذه الدنيا، كذلك هو

قادر على جعلها آيات معلنة بدء يوم القيامة، وثانيها: بيان سرعة استجابة هذه الظواهر الكونية لإرادة الله المعلنة بدء يوم القيامة.

واستثني من هذه الأفعال فعل الانكدار المتعلق بالنجوم إذ جاء على صيغة المبني للمعلوم، وتعليل ذلك أن علم الإنسان بالنجوم قليل لكثرة عددها وبعدها عن الأرض، وليس الحال كذلك مع باقي الآيات الكونية التي عرضها السياق. والله أعلم.

ويلاحظ ثانياً: سرعة العطف بين هذه الظروف المتعددة مما يؤكد سرعة استجابة متعلقاتها لإرادة الخالق سبحانه، واستثني من ذلك الموءودة التي فصلت عن الظرف التالي لها بعبارة: (بأي ذنب قتلت) التكوير: 9، وهي عبارة تزيد في التقبيح من فعل الوأد، وتزيد في التقريع والتوبيخ على الوائد.

ويلاحظ ثالثاً: أن دلالة السياق على التهويل لم يكن مقصوداً بقدر دلالته على سرعة استجابة الظواهر لأمر ربها، أكد ذلك تأخير الظرف المتعلق بكشط السماء مع كونه آية أعظم وأشد هولاً من تكوير الشمس كما لا يخفى.

***ثانياً: أسلوب سورة الانفطار في عرض مشاهد يوم القيامة:**

يقول تعالى: (إِذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ * وإِذا الكواكِبُ انتَثَرَتْ * وإِذا البِحارُ فُجِّرَتْ * وإِذا القُبورُ بُعْثِرَتْ) الانفطار: 1 –4.

أول ما يلاحظ على أسلوب سورة الانفطار قلة الظروف المعطوفة على بعضها بالمقارنة مع سورة التكوير، فهي هنا أربعة ظروف فقط، ويلاحظ ثانياً أن الظرف الذي افتتحت به السورة واشتق منه اسمها متعلق بالسماء، وهي آية أعظم بكثير من آية الشمس التي افتتح بذكرها سورة التكوير، مما يدل على أن دلالة السياق على التهويل هنا أكثر منها في سورة التكوير كما سبق، وفيما يلي بيان ذلك:

أول هذه الظروف انفطار السماء، وقد سبق الحديث عنه في المطلب الأول، وتبين أنه يدل على أمرين اثنين: أولهما أن السماء بعظمتها ستبادر من تلقاء نفسها إلى الاستجابة لأمر خالقها فتأخذ بالانفطار، وقد أكد هذا مجيء الفعل على صيغة المبني للمعلوم، وثانيهما إبراز طابع التهويل، إذ الحديث هنا عن السماء وليس عن الشمس، والدلالة اللغوية للفعل (فطر) زادت في إبراز طابع التهويل على السياق.

وثاني هذه الظروف: انتثار الكواكب، وانتثارها: (تفرق هيئات اجتماعها المعروفة في مواقعها، أو خروجها من دوائر أفلاكها بعد أن كانت قارّةً فيها، وذلك لاختلال قوى الجاذبية)[46]، ويلاحظ هنا أن الحديث عن الكواكب، وليس عن النجوم كما في سورة التكوير، ففي سورة التكوير ذُكرت النجوم لأن الشمس نجم، ومن مراحل شيخوخة النجوم الانكدار بعد أن يخبو ضوء النجم شيئاً فشيئاً، بينما في سورة الانفطار الحديث عن الكواكب، فبعد أن ذُكرت النجوم في السورة السابقة، ذُكرت الكواكب هنا ليكتمل الكلام عن النوعين مع بيان ما سيحصل لهما يوم القيامة، والكواكب ليست كالنجوم، فهي ليست مشتعلة ولا مضيئة بذاتها، إنما هي تعكس الضوء، كحال كوكب القمر مع نجم الشمس إذ هو يعكس ضوءها فيُرى من الأرض.[47]

ومن الملاحظ هنا أيضاً أن الفعل المتعلق بالكواكب هو الانتثار وليس الانكدار، وفي ذلك تصريح قرآني علمي لم يكتشف إلا حديثاً، إذ أثبت العلم أن نهاية الكوكب هي الانفجار والانتثار[48]، وقد جاء الفعل هنا مبنياً للمعلوم، ليدل على أن الكواكب على كثرة عددها وضخامتها ستأخذ من تلقاء نفسها بالانتثار استجابةً لأمر الله تعالى المعلن بدء يوم القيامة، وما من شك في أن دلالة الانتثار على التهويل أكثر، فانفجار الكواكب وتفرقها أهول من مجرد انطفاء نور النجوم وانكدارها. فطابع التهويل بارز بوضوح في هذه السورة، ثم إن فعل الانتثار الدال على التباعد والفصل متلائم تماماً مع فعل الانفطار الدال على التباعد والفصل أيضاً.

وثالث هذه الظروف: تفجير البحار، وتفجيرها له معنيان: إما أنه يعني إزالة البرازخ التي كانت تفصلها عن بعضها فيختلط عذبها بمالحها، وتصير البحار بحراً واحداً، وحينها ينطلق ماؤها عن مستواه ويفيض على ما حوله من الأرض[49]، أو أنه يعني انفجار عُنْصُرَي ماء البحار وهما: الهيدروجين والأكسجين، فتصبح البحار ناراً تضطرم[50]، ويلاحظ أن الفعل المتعلق بالبحار هنا هو من التفجير وليس من التسجير كما في سورة التكوير، وقد جاء الفعل هنا على صيغة ما لم يسمَّ فاعله، وذلك للدلالة على عظم الله تعالى الآمر لهذه البحار بالتفجير، فطالما كانت هذه البحار آية دالة على كمال قدرة الخالق، ولكن الإنسان في غفلة وإعراض، وما من شك أن دلالة التهويل في فعل التفجير أظهر، خاصة إذا كان هناك مرحلية بينهما، بمعنى أن البحار تُسجَّر حتى تصل إلى مرحلة التفجير، والله أعلم.

ورابع هذه الظروف: بعثرة القبور، وبعثرتها: قلبُ أعلاها أسفلها وقلب باطنها ظاهرها، بمعنى أن الأرض تُلْقي على ظاهرها ما كان في باطن المقابر من الموتى أحياءً لغاية الحشر والحساب[51]. ويلاحظ أن فعل البعثرة الذي يعني قلب الشيء وإثارته فيه دلالة لا تخفى على التهويل، وقد جاء على صيغة ما لم يسمَّ فاعله للدلالة على كمال قدرة الله تعالى القادر على بعثرة القبور

وإحياء ما فيها من الأموات، فيروا ما أفظعهم وهالهم وروَّعهم.[52]

فظاهرٌ من أسلوب سورة الانفطار في عرض مشاهد يوم القيامة أن التهويل فيه بارز بوضوح، ويمكن استشعار ذلك من نسبة فعل (الانفطار) إلى السماء وهي آية أعظم بكثير من آية الشمس، ونسبة فعل (الانتثار) إلى الكواكب وهو فعل أدل على التهويل من فعل الانكدار، ونسبة فعل (التفجير) إلى البحار بدلاً من التسجير، ونسبة فعل (البعثرة) إلى القبور كما سبق.

***ثالثاً: أسلوب سورة الانشقاق في عرض مشاهد يوم القيامة:**

يقول تعالى: (إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ * وأَذِنَتْ لرَبِّها وحُقَّتْ * وإذا الأَرْضُ مُدَّتْ * وأَلْقَتْ ما فيها وتَخَلَّتْ * وأَذِنَتْ لرَبِّها وحُقَّتْ) الانشقاق: 1- 5.

أول ما يلاحظ على أسلوب هذه السورة قلة الظروف مقارنة مع سورة التكوير، ويلاحظ ثانياً أن السياق أكد الظرفين المتعلقين بالسماء والأرض بعبارتين تدلان على كمال الاستسلام والطاعة لأمر الله عز وجل، مما يدل على أن هذه السورة (ذات طابع خاص: طابع الاستسلام لله، استسلام السماء واستسلام الأرض، في طواعية وخشوع ويسر)[53]، وفيما يلي بيان ذلك:

أول هذه الظروف قوله تعالى (إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ)، وقد سبق الحديث عنه وتبين أن نسبة فعل الانشقاق الذي يدل على الصدع والخرم إلى السماء قد أفاد أن السماء بعظمتها ستبادر من تلقاء نفسها بالاستجابة لأمر ربها فتنشق إيذاناً ببدء يوم القيامة، أكد هذا مجيء الفعل على صيغة المبني للمعلوم، وأن في ذلك دلالة أبرز على التهويل من سورة التكوير، ولكن التهويل فيها أقل من سورة الانفطار لأن الدلالة اللفظية والسياقية لفعل الفطر أبلغ في الدلالة على التهويل .

ثم يقول تعالى عطفاً على الظرف الأول المتقدم: (وأَذِنَتْ لرَبِّها وحُقَّتْ)، أي استمعت لأمر ربها، كما يقال: أذن له، أي: استمع، أي كانت شديدة الاستماع والطواعية كمن كان له أذنٌ واعيةٌ ونفس مطمئنة [54]، واختص ذكر الرب دون غيره من الأسماء لما يؤذِن به وصف الرب من الملك والتدبير[55]، و(حُقَّتْ): أي حقق الله عليها الاستماع بالانشقاق، والانتهاء إلى طاعته في ذلك، من قولك: هو محقوق بكذا وحقيق به، والمعنى: (أي فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأبَ ولم يمتنع)[56]. وتبدو دلالة الاستسلام والانقياد جليةً من الفعلَيْن (أذنت) و (حقت) كما ذكر المفسرون فيما سبق.

وأما الظرف الثاني فهو قوله تعالى: (وإذا الأَرْضُ مُدَّتْ)، ومدّها له معنيان يكمل أحدهما الآخر، فالمعنى الأول أنه ستُزال جبال الأرض وآكامها وكل أمْت فيها حتى تصبح منبسطة مستوية، والثاني أنها ستمط وتزداد سعةً ليحشر الناس للحساب[57]. ويلاحظ هنا أن الفعل قد جاء على صيغة ما لم يسمَّ فاعله، مما يفيد كمال استسلامها لوقوع أمر الله عليها[58]. ومن اللطيف أن الفعل المتعلق بالسماء التي هي آية أعظم بكثير من الأرض، جاء على صيغة المبني للمعلوم: (انشقت)، لإفادة أنها بعظمتها ستبادر بالانشقاق، بينما الفعل المتعلق بالأرض جاء على صيغة ما لم يسمَّ فاعله: (مُدَّت)، للدلالة على عظمة آمرها بالمد سبحانه وتعالى.

ثم يقول تعالى عطفاً على الظرف الثاني: (وألقت ما فيها وتخلَّت)، أي: (ألقت ما فيها بطنها من الكنوز والأموات إخراجاً سريعاً كأنها تقذفه قذفاً، وتخلَّت: تعمّدت وتكلفت الخلو عن ذلك والترك له غاية جهدها كأن الأرض فاعلةٌ لهذا)[59]، وقد ذُكِرت هذه العبارة المتعلقة بالأرض ولم تذكر عبارة مثلها مع السماء لأن المقصود منها بيان مصير الإنسان الذي طالما كان ينكر الحياة الآخرة بعد أن يُدفن في الأرض، فبينت هذه العبارة أنه سوف تلقيه الأرض وتتخلى عنه ويبعث منها حياً للحساب، ولا تخفى دلالة هذه العبارة على الاستسلام والانقياد كما ذكر المفسرون فيما سبق.

ثم أكد السياق دلالة الاستسلام والانقياد للأرض بذات العبارة التي أكد بها الظرف الأول المتعلق بالسماء، فقال تعالى: (وأَذِنَتْ لرَبِّها وحُقَّتْ) أي: استمعَتْ الأرض لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الإلقاء التخلي. وقد تقدم الحديث عن دلالة ألفاظ هذه العبارة على الاستسلام والانقياد لله تعالى.

فظاهرٌ من أسلوب سورة الانشقاق في عرض مشاهد يوم القيامة أن الاستسلام والانقياد قد برزا بوضوح، ويؤكد هذا ذُكر عبارة (وأَذِنَتْ لرَبِّها وحُقَّتْ) مرتين، مرة مع السماء ومرة مع الأرض، ويؤكد ذلك اختيار الأفعال الدالة على الاستسلام مثل (مُدت، ألقت، تخلّت)...

كما ويلاحظ أن طابع التهويل هنا أقل منه في سورة الانفطار، ففعل الانشقاق أقل دلالة على التهويل من فعل الانفطار، كما سبق بيانه، ولم يذكر السياق شيئاً عن الكواكب أو النجوم أو البحار، وإنما كان الحديث عن السماء والأرض فقط.

*المطلب الثاني: الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في عرض مصير الإنسان يوم القيامة:

أولاً: أسلوب سورة التكوير في عرض مصير الإنسان يوم القيامة:

يقول الله تعالى: (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ): يلاحظ هنا أن مصير الإنسان في يوم القيامة اقتصر على بيان إحضار الأعمال فقط، والآية جواب الظروف السابقة، ومعناها: (أي تُعلم بما أحضرت فتعلمه، والإحضار: جعل الشيء حاضراً، وحصول العلم يجمع أشتاتاً: فبعضها معلوم على غير وجهه، وبعضها معلوم صورته مجهولة عواقبه، وبعضها مغفول عنه)[60]، كأن السياق يقول: إن الإله العظيم القادر على تحقيق الظروف الاثني عشرة السابقة، قادر أيضاً على إعلام كل نفس بما أحضرته من الأعمال خيرها وشرها، كبيرها وصغيرها.

ولم يذكر السياق شيئاً عن مصير الإنسان يوم القيامة بعد هذه العبارة، بل انتقل إلى القسم بالخنس الجوار الكنس، فاكتفى فقط ببيان أن الإنسان سيحاسب على عمله، وذلك يؤكد أن التهويل ليس مقصوداً بالدرجة المقصودة من بيان سرعة إجابة المخلوقات لأمر الله تعالى المعلن بدء يوم القيامة.

ثانياً: أسلوب سورة الانفطار في عرض مصير الإنسان يوم القيامة:

يقول تعالى: (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ): يلاحظ هنا مزيد تفصيل على ما جاء في سورة التكوير، فالحديث هنا ليس عن إحضار الأعمال فقط، بل عن الأعمال التي قدمتها وأخرتها كل نفس، وتفسير ذلك من أربعة أوجه: إما أن يكون المقصود ما عملته النفس مقدماً في أول العمر، وما عملته مؤخراً في آخره، أو ما قدمته من قبل الموت، وما أخرته بعد الموت من سُنة تبقى بعدها، أو جميع ما عملته النفس من خير وشر، أو ما قدمته بالمبادرة في العمل، وما أخرته في ترك العمل)[61]. (كما أن الأمر لا يقف عند حدود علمها بما قدمت وأخرت، فلهذا العلم وقعه العنيف الذي يشبه عنف تلك المشاهد الكونية المتقبلة، والتعبير يلقي هذا الظل دون أن يذكره نصاً).[62]

وما من شك أن الزيادة في هذه الآية فيها مزيد تهويل على الآية التي في سورة التكوير، أكد ذلك أن السياق في سورة الانفطار أعقب هذه الآية بخطاب الإنسان بنداء مبطن بالوعيد وسيأتي بيانه في المطلب التالي: (يا أيها الإنسانُ ما غَرَّك بربِّك الكَريمِ * الذي خَلَقَكَ فسوَّاك فَعَدَلك) الانفطار:6، 7.

ثالثاً: أسلوب سورة الانشقاق في عرض مصير الإنسان يوم القيامة:

يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيْهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوفَ يُحَاسَبُ حَسَاباً يَسِيراً * وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلى سَعِيراً * إِنَّهُ كانَ فِيْ أَهْلِهِ مَسْرُوراً * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَن يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيْراً): يلاحظ أن حديث هذه السورة عن مصير الإنسان يوم القيامة كان الأطول في السور الثلاث، قال الزمخشري: (الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها)[63]، وقوله تعالى (فملاقيه) له معنيان: إما أن يعود الضمير إلى الرب سبحانه، أي: فملاقي حكمه لا مفر لك منه، أو أن يعود الضمير إلى العمل، أي: فملاقي جزاء كدحك من خير أو شر.)[64](

ولا زال السياق يدل على كمال الاستسلام في يوم القيامة، فَبيّن أن الجميع مستسلمون للحساب، فمنهم مَنْ يؤتى كتابه بيمينه، فحسابه يسير، ويختم له مع أهله بالسرور، ومنهم مَن يؤتى كتابه وراء ظهره، فيدعو على نفسه بالثبور، ومما يؤكد دلالة الاستسلام قوله تعالى (إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَن يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيْراً) أي إن الإنسان ظن في الدنيا أن لن يرجع إلى الله تعالى، ولن يبعث بعد مماته، ولكن السياق رد عليه ببيان أن الله تعالى الذي ابتدأ إنشاءه ورباه كان أزلاً وأبداً به بصيراً ناظراً إليه وعالماً به أبلغ نظر وأكمل علم[65]. فسيرجع الإنسان إلى ربه وسيحاسبه وهو مستسلم لا يملك أن يقدم أو يأخر من أمره شيئاً.

*المطلب الثالث: الأسلوب المميز لكل من السور الثلاث في إثبات قدرة الله تعالى على يوم القيامة:

أولاً: أسلوب سورة التكوير في إثبات قدرة الله تعالى على البعث ليوم القيامة:

يقول تعالى: (فلا أُقسِمُ بالخُنَّسِ * الجوارِ الكُنَّسِ * واللَّيلِ إذا عَسْعَسَ * والصُّبحِ إذا تَنفَّسَ * إنَّه لَقَولُ رَسولٍ كريمٍ * ذي قُوةٍ عند ذي العَرْشِ مَكِيْنٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمينٍ * وما صاحِبُكم بمَجْنونٍ * ولقد رآه بالأُفُقِ المُبينِ * وما هو على الغَيْبِ بِضَنينٍ * وما هو بِقَولِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ * فَأَينَ تَذْهبونَ * إنْ هو إلا ذِكْرٌ للعالَمينَ * لِمَنْ شاءَ منكم أَنْ يَسْتَقيمَ * وما تَشَاؤونَ إلا أَنْ يشاءَ اللهُ ربُّ العالمينَ) التكوير: 15 – 29.

يلاحظ هنا أن السياق يثبت قدرة الخالق سبحانه على ما سبق ذكره من الظروف الاثني عشر وجوابها الدال على البعث والحساب، من خلال القسم بظواهر كونية فيها دلالة واضحة على الحركة الدقيقة، فقوله تعالى (فلا أقسم بالخُنَّس * الجَوارِ الكُنَّس) كما يقول أصحاب التفسير العلمي يدل على حالة من حالات النجوم المبهرة، تتكدس فيها المادة تكدساً شديداً بحيث تتلاشى الفراغات البينية بين مكونات الذرة، فتصبح لهذه النجوم جاذبية فوق التصور تحول دون انفلات الضوء منها، ولكن تدرك آثار جاذبيتها الشديدة ومجالاتها المغناطيسية الفائقة القوة، فتحدِّد بذلك مواقعها في داخل المجرات، وهذه حقيقة لم يعرفها العلماء إلا منذ سنوات قليلة.

وعلى سبيل التشبيه فإن نجماً في حجم الشمس التي يبلغ قطرها 1.392.000 كيلو مترا تحتاج إلى الانضغاط حتى يصبح قطرها 3 كيلو متر فقط كي تتحول إلى نجم كانس خانس.

وتجدر الإشارة إلى أن وصف هذه النجوم بوصف (الخنس الجوار الكنس) أبلغ بكثير من تعبير (الثقب الأسود) الذي أطلقه العلماء الغربيون على هذه النجوم، فوصفها بـ (الخنس) يدل على أن هذه النجوم خانسة أي دائمة الاختفاء والاستتار بذاتها، واختفائها يعود لتكدس المادة الشديد فيها ولجاذبيتها التي تفوق التصور لدرجة أن الضوء لا ينفلت من عقالها فهي لا تُرى، ووصفها بـ (الجوار) يدل على أن هذه النجوم تجري في أفلاكها بسرعة فائقة، إذ تقدر سرعة جريانها بحوالي ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية، ووصفها بـ (الكنس) يدل على أن هذه النجوم الكثيفة للغاية والتي لا تُرى كانسة لصفحة السماء، إذ هي تكنس أي تبتلع وهي تدور في مدارها كل ما تمر به من صور المادة والطاقة. بينما وصف (الثقب الأسود) يوحي بالفراغ على عكس الواقع إذ إن ما يحصل لهذه النجوم هو حالة من حالات التكدس الشديد للمادة.[66]

ثم أقسم الله بظاهرة كونية عظيمة أخرى، وهي ظاهرة الليل والنهار، فقال تعالى (واللَّيلِ إذا عَسْعَسَ)، ولهذه الآية معنيان: أحدهما معناه (أقبل فأظلم، وهو لفظ يوحي بجِرْسه بحياةٍ في هذا الليل، وهو يعسُّ في الظلام بيده أو برجله لا يُرى)[67]، والثاني معناه: أدبر، ليقابل بذلك وصف الصبح بقوله (إذا تنفس)[68]، وعلى كلا المعنيين الإقبال أو الإدبار، ففي القسم دلالة على الحركة المنتظمة لليل، فهو يقبل ويدبر وفق حركة منتظمة تدل على الخالق العظيم سبحانه وتعالى.

وجاء القسم بالنهار في قوله تعالى (والصُّبحِ إذا تَنفَّسَ) أي: أقبل وامتد حتى يصير نهاراً بيناً، قال الزمخشري في بيان هذا المجاز: (إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله رَوْحٌ ونسيم، فجعل له ذلك نفساً على المجاز)[69]، وزاد الشربيني قولاً ثانياً: (شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي حُبس بحيث لا يتحرك، فإذا تنفس وجد راحة، فهنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن)[70]. فالقسم بالحركة المنتظمة لتعاقب الليل والنهار يدل على كمال قدرة الخالق العظيم سبحانه وتعالى، وهما آية عظيمة من آيات الله يراها الإنسان في كل يوم، وهو معرض مصر على التكذيب.

وجواب القسم: (إنَّه لَقَولُ رَسولٍ كريمٍ)، أي إن هذا القرآن لتنزيل رسول كريم، يعني جبريل عليه السلام، وقد انتفت عنه وجوه المذام كلها، وثبت له وجوه المحامد كلها[71]، فهذا عن رسول السماء، ثم قال عن رسول الأرض صلى الله عليه وسلم: (وما صاحِبُكم بمَجْنونٍ): ووصفه صلى الله عليه وسلم بالصاحب له دلالة عظيمة، (إذ شأن الصاحب أن لا تخفى دقائق أحواله على أصحابه، والمعنى: أن الذي تخاصمونه وتكذبونه وتصفونه بالجنون ليس بمجنون، وأنكم مخالطوه وملازموه وتعلمون حقيقته، فما قولكم عليه: إنه مجنون، إلا لقصد البهتان وإساءة السمعة)[72]. قال ابن كثير: (عظيم جداً أن الرب يزكي عبده ورسوله المَلَكي كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً صلى الله عليه وسلم).[73]

فيلاحظ أن السياق قد أقسم بظواهر كونية عظيمة الدلالة على الخالق سبحانه وتعالى، ولا يستطيع الإنسان إنكار أي منها، فقد طالت صحبة الإنسان لليل والنهار فهو يراهما كل يوم، كما قد طالت صحبة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم، فلا يستطيعون إنكار صدقه في نبوته، يقول الأستاذ الدكتور زغلول النجار: (وسبحان الذي وصف لنا (الثقوب السوداء) بوصفه الرباني (فلا أُقسِمُ بالخُنَّسِ * الجوارِ الكُنَّسِ) وهو وصف يفوق التسمية العلمية لها باسم الثقوب السوداء دقة وشمولاً وإحاطةً، ويشهد لمنزِّله في محكم كتابه بالألوهية والربوبية والوحدانية المطلقة، كما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الخالق الذي: (لا يَأْتِيْهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) فصلت: 42، كما يشهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة والرسالة، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين)[74]. فسياق السورة يثبت أن خالق الأكوان هو منزل القرآن على نبيه العدنان صلى الله عليه وسلم.[75]

وبعد ذكر تلك الآيات العظام الدالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وما أعقبها من بيان صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغ الناس من وحي الخالق، فاجتمع بذلك دلالة آيات القرآن وآيات الكون على عظمته تعالى، بعد ذلك ختمت السورة بقوله

تعالى : (فَأَينَ تَذْهبونَ * إنْ هو إلا ذِكْرٌ للعالَمينَ * لِمَنْ شاءَ منكم أَنْ يَسْتقيمَ * وما تَشَاؤونَ إلا أَنْ يشاءَ اللهُ ربُّ العالمينَ)، أي بعد بيان مظاهر قدرة الله تعالى التي ترونها كل يوم إن كانت الشمس أو السماء أو الأرض أو الليل والنهار، فأين تذهبون بعد ذلك؟ هل لكم خالق غير الله تلجأون إليه؟ أم لكم ملجأ يخفى على خالقكم تحتمون فيه فلا يحاسبكم على أعمالكم؟

فيلاحظ أن السياق يثبت حقيقة اليوم الآخر بمظاهر كمال قدرته تعالى الظاهرة من آياته الكونية السابقة الذكر.

ثم ختمت السورة بما يثبت أنه لا مشيئة حقيقية في الكون إلا لخالق هذا الكون وما فيه من الآيات العظام الدالة عليه:(إنْ هو إلا ذِكْرٌ للعالَمينَ * لِمَنْ شاءَ منكم أَنْ يَسْتقيمَ * وما تَشَاؤونَ إلا أَنْ يشاءَ اللهُ ربُّ العالمينَ)، يقول سيد قطب: (وهذه النصوص التي يعقب بها القرآن الكريم عند ذكر مشيئة الخلائق، يراد بها تصحيح التصور الإيماني وشموله للحقيقة الكبرى: حقيقة أن كل شيء في هذا الوجود مردُّه إلى مشيئة الله، وأن ما يأذن به للناس من قدرة على الاختيار هو طرف من مشيئته ككل تقدير وآخر تدبير... ولا بد من إقرار هذه الحقيقة في تصور المؤمنين ليدركوا ما هو الحق لذاته، وليلتجئوا إلى المشيئة الكبرى يطلبون عندها العون والتوفيق، ويرتبطون بها في كل ما يأخذون وما يدعون في الطريق)[76]، وبذلك تلتقي مقدمة السورة وخاتمها على المقصود ذاته، وهو بيان سرعة استجابة الظواهر الكونية . التي طالما كانت آيات دالة على الخالق سبحانه . إلى مشيئته المعلنة بدء يوم القيامة، فثبت بذلك أن مشيئته وحده سبحانه هي المتصرفة حقيقة في الدنيا والآخرة.[77]

ثانياً: أسلوب سورة الانفطار في إثبات قدرة الله تعالى على البعث ليوم القيامة:

يقول تعالى: (يا أَيُّها الإنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ * الذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * في أيِّ صُورةٍ ما شاءَ رَكَّبكَ * كلا بَلْ تُكَذِّبونَ بِالدِّينِ * وإنَّ عليكُمْ لحافِظِينَ * كِرَاماً كاتِبِيْنَ * يَعْلَمونَ ما تَفْعَلونَ * إنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ * وإنَّ الفُجَّارَ لفي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يومَ الدِّينِ * وما هُمْ عَنْها بِغَائبِينَ * وما أَدْراكَ ما يَومُ الدِّينِ * ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَومُ الدِّينِ * يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيئاً والأَمْرُ يومَئِذٍ للهِ) الانفطار: 6 – 19.

يلاحظ هنا أن السياق يثبت قدرة الله تعالى على البعث والحساب من خلال بيان أنه هو الذي خلق الإنسان أول مرة، فالقادر على خلق الإنسان وقد كان عدماً، قادر على بعثه بعد موته ليحاسبه، فبعد أن ذكر السياق مطلع السورة من أحداث يوم القيامة المهولة من انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار وبعثرة القبور، خاطب الله تعالى الإنسان خطاباً يحوي عتاباً مبطناً بالوعيد، ليدل على أن القادر على كل تلك الأحداث المهولة، قادر أيضاً على بعث الإنسان ليحاسبه، فقال تعالى: (يا أَيُّها الإنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ * الذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * في أيِّ صُورةٍ ما شاءَ رَكَّبكَ) أي: (ما الذي أدخلك في الغِرَّة، وهي أن ترى فعلك القبيح حسناً، أو ترى أنه يُعفى عنك لا محالة، ... ولما كان التعبير بالرب مع دلالته على الإحسان يدل على الانتقام عند الإمعان في الإجرام . لأن ذلك شأن المربي . أتبعه ما هو كذلك أيضاً ظاهره لطف وباطنه قهر وجبروت، فقال: (الكريم) أي الذي له الكمال كله المقتضي لئلا يهمل الظالم بل يمهله،... المقتضي لأن يبالغ الإنسانُ في التقرب إليه بالطاعة شكراً له، وأن لا يعرض أحد عنه لأن بيده كل شيء ولا شيء بيد غيره) .[78]

ثم بين السياق سبب إعراض الإنسان عن اتباع هدى خالقه سبحانه وتعالى بالرغم من كل الأحداث الجسام التي عرضها مطلع السورة، وسبب إعراض الإنسان شيء واحد، وهو: أنه يكذب بيوم القيامة الذي فيه الحساب: (كلا بَلْ تُكَذِّبونَ بِالدِّينِ * وإنَّ عليكُمْ لحافِظِينَ * كِرَاماً كاتِبِيْنَ * يَعْلَمونَ ما تَفْعَلونَ) أي: (ما أوقعكم أيها الناس في الإعراض عمّن يجب الإقبال عليه، ويقبح غاية القباحة الإعراض عنه بوجه مطلق الغرور، (بل) أعظمه وهو أنكم (تكذبون بالدين) أي الجزاء الذي وظفه الله في يوم البعث).[79]

ومما يضفي طابع التهويل على السياق استخدام لفظ (كلا) وهو للردع والزجر، وأسلوب التوكيد بـ (إن) مع اللام المؤكدة مع اسم الفاعل (لحافظين)، ووصف الملائكة باسم الفاعل مرة أخرى (كاتبين) لبيان أنه ليس لهم مهمة سوى حفظ الأعمال وكتابتها، وإعادة التوكيد بعبارة (يعلمون ما تفعلون). وما من شك في أن (تعظيم الكتبة تعظيم لأمر الجزاء فإنه عند الله من جلائل الأمور)[80]، كل ذلك يعطي دلالة عظيمة على هول حقيقة مجازاة الإنسان وبيان أنها أمر لا مفر منه، ولا ينبغي بحال التغافل عنه فضلاً عن التكذيب به.

ثم أكد السياق حقيقة البعث والمجازاة ببيان مصير فريق المؤمنين وفريق المكذبين يوم القيامة (إنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ * وإنَّ الفُجَّارَ لفي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يومَ الدِّينِ * وما هُمْ عَنْها بِغَائبِينَ)، ويلاحظ إعادة استخدام أسلوب التوكيد مع التأكيد باللام، مما يضفي طابع التهويل على أحداث ذلك اليوم العظيم، ولم يزد السياق في حديثه عن الأبرار على بيان أنهم في نعيم، بينما زاد في

الحديث عن الفجار، فبين أنهم في جحيم، وأنهم يصلونها يوم الدين، وأنهم لن يغيبوا عنها. ولا يخفى أن زيادة التفصيل في مصير الفجار فيه دلالة عظيمة على قبح موقفهم، وسوء مصيرهم، وما ذلك إلا لتكذيبهم بحقيقة المجازاة.

وكما افتتحت السورة بحديثها عن أهوال يوم القيامة وأحداثها الجسام، ختمت بالتأكيد على المقصد ذاته، فبينت أن يوم الدين يوم عظيم الهول لا تَصرُّفَ فيه حقيقةً إلا للخالق العظيم سبحانه وتعالى: (وما أَدْراكَ ما يَومُ الدِّينِ * ثُمَّ ما أَدْراكَ ما يَومُ الدِّينِ * يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفسٌ لِنَفْسٍ شَيئاً والأَمْرُ يومَئِذٍ للهِ)، ويؤكد حقيقة تهويل يوم الدين في هذه الخاتمة أمور عدة منها: الاستفهام بقوله (وما أدراك ما يوم الدين) يقول ابن عاشور: (هو استفهام مستعمل كنايةً عن تعظيم أمر اليوم وتهويله، والمقصود أنه لا تصل إلى كنهه دراية دارٍ، ... (ثم ما أدراك) وهو تكرير للتهويل يؤذن بزيادته، ... (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) بيان للتهويل العظيم المجمل الذي أفاده قوله (وما أدراك ما يوم الين * ثم ما أدراك ما يوم الدين) إذ التهويل مشعر بحصول ما يخافه المهول لهم فأتبع ذلك بزيادة التهويل مع التأييس من وجود نصير أو معين).[81]

ثالثاً: أسلوب سورة الانشقاق في إثبات قدرة الله تعالى على البعث ليوم القيامة:

يقول تعالى : (فلا أُقْسِمُ بالشَّفَقِ * والليْلِ وما وَسَقَ * والقَمَرِ إذا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عن طَبَقٍ * فَمَا لهم لا يُؤْمِنونَ * وإذا قُرِئَ عَليهِمُ القُرْآنُ لا يَسْجُدونَ * بَلِ الذينَ كَفَرُوا يُكَذِّبونَ * واللهُ أَعْلَمُ بما يُوْعُونَ * فَبَشِّرْهُم بِعَذابٍ أَليمٍ * إلا الذين آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ فَلَهُم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) الانشقاق: 16 – 25.

يلاحظ هنا أن السياق يثبت قدرة الله تعالى على البعث والحساب من خلال القسم بآيات كونية دالة على عظمته وقدرته، فقال سبحانه: (فلا أُقْسِمُ بالشَّفَقِ * والليْلِ وما وَسَقَ * والقَمَرِ إذا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عن طَبَقٍ) والشفق: الحمرة في الأفق من ناحية المغرب بعد غروب الشمس[82]، ومعنى قوله تعالى: (والليْلِ وما وَسَقَ)، أي: ما جمعه مما كان منتشراً في النهار من ناس أو حيوان أو طير فإنها تأوي في الليل إلى مآويها[83]، ومعنى قوله تعالى: (والقَمَرِ إذا اتَّسَقَ) أي: انتظم واجتمع كماله واستوى ليلة أربع عشرة[84]. والدلالة التي تجمع هذه الأقسام الثلاثة إنما هي دلالة الاستسلام، فالشفق والليل والقمر من آيات الله المستسلمة لأمره تعالى، أكد ذلك أن السياق لم يصف الشفق بأي صفة، ليدل على أنه آية مستلمة لأمر الله مستمرة يراها الإنسان كل يوم فلا يمكنه إنكارها، وكذلك وصف الليل بقوله (وما وسق) الدال من ناحية على إيواء المخلوقات إلى مساكنها باستسلام تام وهدوء، ومن ناحية أخرى يدل على أن الليل آية مستسلمة لأمر الله يراها الإنسان كل يوم فلا يمكنه إنكارها، وكذلك وصف القمر بقوله (إذا اتسق) الدال على أنه يدور في مساره باستسلام حول الأرض ويعكس ضوء الشمس وفق دورة منتظمة.

ثم ذكر السياق جواب القسم المتعلق بحال الإنسان، والمبيِّن أنه أيضاً مستسلم لأمر الله تعالى ليس بيده شيء تماماً كحال الآيات الكونية التي أقسم الله بها، فقال تعالى: (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عن طَبَقٍ) أي: (لتعانون حالاً بعد حال، وِفْق ما هو مرسوم لكم من تقديرات وأحوال، وكأن هذه الأحوال مطايا يركبها الناس واحدة بعد واحدة، وكل منها تمضي وفق مشيئة القدر الذي يقودها ويقودهم في الطريق،... كتقدير هذه الأحوال المتعاقبة على الكون من الشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق)[85]، أما تفصيل هذه الأحوال والتقديرات فهو شامل لحياة الإنسان في الدارين، إذ يكون جنيناً ثم رضيعاً ثم شاباً ثم شيخاً، ثم موت ثم برزخ ثم بعث ثم حساب ثم جنة أو نار[86]. ولا يخفى أن الإنسان في هذه الأحوال والتقديرات ليس له إلا الاستسلام للخالق سبحانه وتعالى.

ثم حذر السياق بعد القسم وجوابه الدال على استسلام المخلوقات جميعها لأمر الله تعالى من الإعراض عن الإيمان بالخالق العظيم سبحانه وبما يوحيه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم من الذكر الحكيم، (فقال معرضاً عن خطابهم إلى الغيبة إيذاناً باستحقاقهم للأخذ إن لم يرجعوا)[87]: (فَمَا لهم لا يُؤْمِنونَ * وإذا قُرِئَ عَليهِمُ القُرْآنُ لا يَسْجُدونَ)، أي ما الذي يدفعهم للكفر وهم يرون آيات الله تعالى الكونية الدالة عليه في كل يوم؟ وما الذي يدفعهم إلى عدم الإيمان والسجود لمنزل القرآن سبحانه وتعالى، بعدما بين السياق أن خالق الأكوان هو منزل القرآن؟ فما الذي يمنع الإنسان من الإيمان والاستسلام والسجود للخالق سبحانه وتعالى؟[88]

وكما افتتحت السورة ببيان استسلام السماء والأرض لربهما سبحانه وتعالى يوم القيامة، ختمت ببيان المصير النهائي للكافرين وللمؤمنين يوم القيامة، مما يدل على استسلام الإنسان أيضاً لربه سبحانه وتعالى في ذلك اليوم: (بَلِ الذينَ كَفَرُوا يُكَذِّبونَ * واللهُ أَعْلَمُ بما يُوْعُونَ * فَبَشِّرْهُم بِعَذابٍ أَليمٍ * إلا الذين آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ فَلَهُم أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)، فهؤلاء الكافرون مع معاينتهم لآيات الله الكونية في كل يوم فلا يستطيعون إنكارها، مع ذلك يصرون على الله التكذيب، (واللهُ أَعْلَمُ بما يُوْعُونَ) أي: هو أعلم بما يجمعون في صدروهم ويضمرون من الكفر والحسد، أو بما يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء[89]، فهؤلاء

لهم عذاب أليم لن يجدوا غير الاستسلام له في ذلك اليوم العظيم.

وأما الذين استسلموا لأمر ربهم في الدنيا فآمنوا وعملوا صالحاً فلهم أجر يُعْطَونه مع كرامة بحيث لا يُعْرض له بمنَّة، لأن المنَّة تنغص الإنعام، وهو غير منقطع عنهم(90)، وهم في الجنة مستسلمون لأمر الله تعالى الذي أكرمهم بهذا النعيم إذ كانوا مستسلمين له في الدنيا بإيمانهم وعملهم الصالح.

والحمد لله رب العالمين

*** خاتمة البحث**

أحمد الله الذي أعانني على إتمام هذا البحث، والذي خلص إلى نتائج عديدة، أهمها الآتي:

1. إن في القرآن الكريم مجموعات من السور تشترك في الدلالة على موضوع واحد، ولكن تبقى لكل واحدة منهن شخصيتها وأسلوبها الخاص في الدلالة على هذا الموضوع المشترك، وهذا أمر أعتقد أنه ما زال جديراً بالبحث للوصول إلى الشخصية المميزة لكل في سورة في القرآن.

2. إن السور الثلاث: التكوير، الانفطار، الانشقاق، تعدّ مثالاً تطبيقياً على النقطة السابقة، إذ اشتركت في الدلالة على موضوع واحد هو: يوم القيامة، والبحث يقوم على بيان الشخصية والأسلوب الخاص لكل سورة منهن في الدلالة على هذا الموضوع الواحد.

3. إن الدراسة التحليلية للدلالة اللغوية والسياقية لاسم سورة «التكوير» بينت أنهما تعطيان طابع السرعة والحركة، إذ مجيء فعل التكوير على صيغة ما لم يسمَّ فاعله يدل على أن الشمس ستسارع بالتكوير يوم القيامة استجابة لأمر مكوِّرها سبحانه وتعالى.

4. إن الدراسة التحليلية للدلالة اللغوية والسياقية لاسم سورة «الانفطار» بينت أنهما تعطيان طابع التهويل والتعظيم، إذ الفعل فيها نُسب للسماء لا الشمس، وقد جاء على صيغة المبني للمعلوم، مما يفيد أن السماء بعظمتها ستبادر بالانفطار يوم القيامة حتى تصل إلى مرحلة التباعد والفصل.

5. إن الدراسة التحليلية للدلالة اللغوية والسياقية لاسم سورة «الانشقاق» بينت أنهما تعطيان طابع الاستسلام والانقياد، إذ الفعل فيها جاء مؤكداً بقوله تعالى : (وأَذِنَتْ لِرَبِّها وحُقَّتْ) الانشقاق : 2. مما يفيد أن السماء بعظمتها ستبادر بالانشقاق يوم القيامة حتى تصل إلى مرحلة الصدع والخرم.

6. إن أسلوب سورة «التكوير» في عرض مشاهد يوم القيامة قد امتاز بطابع الحركة والسرعة في الاستجابة، مما يتناسق مع دلالات اسم السورة، أكد ذلك أنها السورة الوحيدة في القرآن التي جاء فيها اثنا عشر ظرفاً متعلقاً بيوم القيامة معطوفة على بعضها البعض بدون فواصل، وكلها يدل على سرعة الحركة والاستجابة لأمر الخالق سبحانه وتعالى.

7. إن أسلوب سورة «الانفطار» في عرض مشاهد يوم القيامة قد امتاز بطابع التهويل والتعظيم، مما يتناسق مع دلالات اسم السورة، أكد ذلك مجيء الظروف الأربعة على صيغ أفعال تعطي دلالة التهويل والتعظيم: انفطرت، انتثرت، فُجِّرت، بُعثِرت.

8. إن أسلوب سورة «الانشقاق» في عرض مشاهد يوم القيامة قد امتاز بطابع الاستسلام والانقياد، مما يتناسق مع دلالات اسم السورة، أكد ذلك مجيء الظرفين المتعلقين بالسماء والأرض مؤكدين بعبارة مشتركة: وَأَذِنتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ: الانشقاق: 2 ، 5.

9. إن أسلوب سورة «التكوير» في عرض مصير الإنسان يوم القيامة لم يكن يقصد منه التهويل بقدر ما قُصد منه بيان إحضار الأعمال فقط، إذ لم يذكر السياق شيئاً آخر عن مصير الإنسان يوم القيامة سوى إحضار الأعمال، ثم انتقل إلى الحديث عن الجوار الكنس الخُنَّس. مما يؤكد المذكور.

10. إن أسلوب سورة «الانفطار» في عرض مصير الإنسان يوم القيامة قُصد منه التهويل والتعظيم، إذ فيها مزيد بيان لما قدمه الإنسان وأخره من الأعمال، ثم عقّب السياق على ذلك بنداء للإنسان مبطن بالوعيد يدل على أن الذي خلق الإنسان أول مرة قادر على بعثه ومجازاته، مما يؤكد طابع التهويل.

11. إن أسلوب سورة «الانشقاق» في عرض مصير الإنسان يوم القيامة قُصد منه بيان كمال الاستسلام، إذ جاء على صيغة نداء للإنسان يدل على أنه لا مفر من مجازاته على كدحه في الدنيا، فمن أوتي كتابه بيمينه فهو من أهل الجنة، ومن أوتي كتابه وراء ظهره فهو من أهل النار، والكل مستسلم لأمر الله لا يستطيع أن يقدم أو يؤخر شيئاً.

12. إن أسلوب سورة «التكوير» في إثبات قدرة الله على البعث يوم القيامة جاء عن طريق القسم بظواهر كونية متسقة تماماً مع الظواهر الكونية المذكورة مطلع السورة، فقد أقسم الله بالخنس الجوار الكنس، والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس، ليدل على

الذي يوحي للنبي صلى الله عليه وسلم هو خالق هذه الظواهر التي جعلها آيات دائمة دالة على كمال قدرته، وهو قادر على جعلها تخرج عن نظامها إعلاناً لبدء يوم القيامة كما جاء في مطلع السورة. وإذا ثبت ذلك ثبت أنه لا مفر للإنسان يذهب إليه خارج عن مشيئة الخالق العظيم.

13. إن أسلوب سورة «الانفطار» في إثبات قدرة الله على البعث والحساب يوم القيامة جاء على أسلوب نداء للإنسان مبطن بالوعيد، دال على أن الرب الكريم الذي خلق الإنسان فسوّاه فعدله، هو الذي جعل عليه ملائكة كراماً حافظين لأعماله كاتبين لها، وأكد ذلك بأسلوب التأكيد بـ «إن» مع اللام في بيان مصير الإبرار بآية واحدة فقط، ومصير الفجار في ثلاث آيات، مع السؤال التجهيلي: وما أَدْراكَ؟ مرتين. وذكر عبارة «يوم الدين» مرتين، وكل ذلك يعطي دلالة التهويل والتعظيم.

14. وإن أسلوب سورة «الانشقاق» في إثبات قدرة الله تعالى على البعث والحساب يوم القيامة جاء عن طريق القسم بظواهر كونية مستسلمة لأمره تعالى في هذه الدنيا، إذ أقسم تعالى بالشفق دون أن يصفه بأي صفة، وبالليل وما جمعه من الكائنات في استسلام، وبالقمر المستسلم لدورته الفلكية حتى يتسق حالاً بعد حال، وجواب القسم دال على استسلام الإنسان لأمر الله يوم القيامة: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عن طَبَق. الانشقاق: 19، مما يدل على أن الذي جعل هذه الظواهر مستسلمة لأمره في الحياة الدنيا، هو الذي سيجعلها مستسلمة لأمره أيضاً في الآخرة كما جاء في مطلع السورة، وهو الذي سيجعل الإنسان مستسلماً لأمره تعالى يوم القيامة لا يملك أن يقدم أو يؤخر شيئاً.

15. مما سبق فإن الباحث يعتقد أنه بالإمكان وصف سورة «التكوير» بأنها سورة: بيان سرعة استجابة الظواهر الكونية لمشيئة الله المعلنة بدء يوم القيامة، ووصف سورة «الانفطار» بأنها سورة: بيان تهويل (يوم الدين)، ووصف سورة «الانشقاق» بأنها سورة: بيان خضوع واستسلام السماء والأرض والإنسان لله تعالى يوم القيامة.

16. وأختم بذكر أن سورة «الانفطار» من حيث الحجم هي الأقصر بين السور الثلاث، إذ جاءت بقدر نصف صفحة تقريباً، والسورتان الأخريان بقدر صفحة لكل واحدة، لكن سورة «الانفطار» هي الأكثر دلالة على التهويل والتعظيم المتعلق بيوم القيامة، بالرغم من كونها الأقصر، فسبحان مَنْ هذا كلامُه!!

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش

(1) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة إذا الشمس كورت، برقم: 3333، وقال: هذا حديث حسن غريب. قال المحقق عادل مرشد: حديث إسناده حسن، وقد صححه الشيخ الألباني في: سلسة الأحاديث الصحيحة، برقم: 1081.

(2) بحث محكم للباحثة: نِعَم هشام الجماس، قدم لمجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العراق، مجلد: 2، العدد: 1، 2004.

(3) بحث محكم للباحث: د. السيد عبد الرؤوف إبراهيم، قدم للمجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، مصر، العدد: 19، 2007.

(4) بحث محكم للباحث: د. عيسى بن صلاح الرجبي، قدم لمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المجلد: 48، العدد: 172. 2016.

(5) ينظر: قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3836، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 140، والغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص 502.

(6) ابن فارس، المقاييس، ص 912. بتصرف.

(7) الأصفهاني، المفردات، ص 729.

(8) ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص131.

(9) هذا إعراب الزمخشري في الكشاف، ج 4، ص 693، واعتمده الرازي، مفاتيح الغيب، ج 31، ص 67، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج 2، ص 572، وقد نقله محي الدين درويش في إعراب القرآن وبيانه، ج 8، ص 233. وقد اعتمدوا مذهب نحاة البصرة الذين لا يجيزون أن يكون شرط (إذا) جملة غير فعلية.

(10) هذا إعراب ابن عاشور في التحرير والتنوير، ج 30، ص 141. وأجاز أن يكون شرط (إذا) جملة غير فعلية على مذهب نحاة الكوفة. ومن المفسرين الذين ذكروا الوجهين لنحاة الكوفة والبصرة في الإعراب بدون ترجيح: أبو حيان، البحر المحيط، ج 8، ص 431، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 9، ص 114، والآلوسي، روح المعاني، ج 15، ص 254.

(11) ذكر ذلك ابن عاشور في التحرير والتنوير، ج 30، ص 141.

(12) ذكر ذلك البقاعي في نظم الدرر، ج 8، ص 336. عند هذا الموضع فقط، لكن كلامه منسحب على كل المواضع التي تقدم فيها الاسم على الفعل في السور الثلاث، وسأشير إلى ذلك في متن البحث.

(13) من المفسرين الذين ذكروا هذين الوجهين: الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8486، الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 693، والرازي، مفاتيح الغيب، ج 31، ص 67، والبقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 336. ومن الأقوال غير المقبولة حول تكوير الشمس: أنها ستلقى في البحر، أو أنها ستلقى في جهنم، أو أنها ستلقى في العرش، إذ لا دليل صحيحاً عليها، ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 636، والبقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 336 (بالإضافة إلى القولين المقبولين الذين ذكرهما).

(14) النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج 2، ص 59. وينظر: حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي للقرآن، ص 292، والشلول، آيات الله في الآفاق، ص 255، 256.

(15) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 347، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 169.

(16) المقاييس، ص 849.

(17) ذكر ذلك ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 170.

(18) أشار لذلك البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 347.

(19) البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 347.

(20) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 171.

(21) من آيات الإعجاز العلمي، ج 1، ص 65.

(22) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 367، وقطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3864، وابن عاشور، ج 30، ص 217.

(23) المقاييس، ص 519.

(24) المفردات، ص 459.

(25) ابن منظور، لسان العرب، ج 8، ص111.

(26) البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 367.

(27) أعني الآية التي في سورة الحاقة: (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية): 16، والآية التي في سورة النبأ: (وفتحت السماء فكانت أبوابا): 16.

(28) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج 1، ص 70.

(29) في القرآن سورتان اسمهما متعلق بيوم القيامة افتتحتا بأسلوب الظرف: إذا، وهما: الواقعة، والزلزلة، ولكن الظروف فيهما لم يصل إلى هذا العدد الذي تجده في سورة التكوير.

(30) قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3836.

(31) ينظر: النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج 1، ص 64، والفيومي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مع الله في السماء، ص 13.

(32) النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج 1، ص 65، وينظر: وحسب النبي، الكون والإعجاز العلمي للقرآن، ص 383، 384، والبلوي، موسوعة النبأ في إعجاز القرآن العلمي، ص 33.

(33) البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 336. وكلامه منسحب على الأفعال التي جاءت على صيغة المبني للمعلوم في الظروف المذكورة في هذه السور الثلاث، وسأشير إلى ذلك في متن البحث.

(34) يُنْظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 637، قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3838، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 142.

(35) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8488، والبقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 337، والشربيني، السراج المنير، ج 4، ص 557.

(36)مما يدل على ذلك قوله تعالى في سورة الغاشية: (أَفَلا يَنْظُرونَ إلى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) الغاشية: 17.

(37) الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 694، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 143، والصابوني، صفوة التفاسير، ج 3، ص 499.

(38) الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8490، والزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 694، وقطب، في ظلال القران، ج 6، ص 3839.

(39) ينظر: النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج 3، ص 16، والنجار، والأرض في القرآن الكريم، ص 183 – 200.

(40) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8492، والبقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 338، والآلوسي، روح المعاني، ج 15، ص 256، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 144.

(41) الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 695.

(42) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 641.

(43) البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 339، وينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج 15، ص 260.

(44) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 16، ص 71، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 150.

(45) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8497.

(46) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 171، ولسيد قطب كلام قريب جداً منه: في ظلال القرآن، ج 6، ص 3846.
(47) ينظر: الفيومي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مع الله في السماء، ص 25، والبلوي، موسوعة النبأ في إعجاز القرآن العلمي، ص 42.
(48) النجار، من آيات الأعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج 1، ص 66.
(49) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8511، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 645، والبقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 348.
(50) هذا المعنى من المعاني التي ذكرها سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 6، ص 3846.
(51) ينظر: الشربيني، السراج المنير، ج 4، ص 563، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 172.
(52) قد أشار لذلك البقاعي: نظم الدرر، ج 4، 348.
(53) قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3866.
(54) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8543، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 656، والبقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 367.
(55) ذكر هذا ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 219.
(56) الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 713.
(57) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8544، والزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 713، والرازي، مفاتيح الغيب، ج 31، ص 105.
(58) قد أشار لذلك سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 6، ص 3866.
(59) البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 368. وللزمخشري كلام قريب جداً منه: الكشاف، ج 4، ص 713، وكذلك ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 220.
(60) التحرير والتنوير، ج 30، ص 151.
(61) الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8511، وقد رجح القول الثاني، والبقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 348، وكذا الآلوسي، روح المعاني، ج 15، ص 268، وقد ذكرا القولين الثاني والثالث، إلا أن الآلوسي ذكر أوجها أخرى لم أذكرها اختصاراً، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 173، وقد ذكر القول الأول والرابع.
(62) قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3847.
(63) الكشاف: ج 4، ص 713، وقد ذكر الشربيني العبارة ذاتها: السراج المنير، ج 4، ص 221.
(64) ممن ذكر هذين الوجهين من المفسرين: الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 713، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 657. والشربيني، السراج المنير، ج 4، ص 578.
(65) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 8، ص، 8549، والبقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 372.
(66) ينظر: النجار، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ج 1، ص 65- 70، والنجار، السماء في القرآن الكريم، ص 211- 232، والبلوي، موسوعة النبأ في إعجاز القرآن العلمي، ص 96، وحسب النبي، الكون والإعجاز العلمي للقرآن، ص 290، والفيومي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مع الله في السماء، ص 16 – 18.
(67) قطب، في ظلال القرآن ، ج 6، ص 3841. وممن اعتمد هذا المعنى البقاعي أيضاً: نظم الدرر، ج 8، ص 341
(68) ممن رجح المعنى الثاني: الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8502، ولم يذكر الزمخشري غير هذا المعنى: الكشاف، ج 4، ص 697، وممن ذكر المعنيين بدون ترجيح: ابن كثير والشربيني وابن عاشور: تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 642، السراج المنير، ج 4، ص 560، التحرير والتنوير، ج 30، ص 154.
(69) الكشاف، ج 4، 697، ولسيد قطب كلام قريب جداً من كلام الزمخشري، يقول: (هذا تعبير أظهر حيوية وأشد إيحاءً، كأن الصبح حيٌّ يتنفس، أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدبُّ في كل حي). في ظلال القرآن، ج 6، 3842.
(70) السراج المنير، ج 4، ص 560.
(71) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8504، والشربيني، السراج المنير، ج 4، ص 560.
(72) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 157، 158. بتصرف.
(73) تفسير القرآن العظيم، ج4، 643.
(74) السماء في القرآن الكريم، ص 231.
(75) وقد أشار سيد قطب إلى اجتماع دلالة آيات الكون مع دلالة آيات الوحي على كمال القدرة الإلهية. في ظلال القرآن، ج 6، ص 3843.
(76) في ظلال القرآن، ج 6، ص 3843، 3844. بتصرف.
(77) لقد أشار البقاعي إلى هذا الربط بين مقدمة السورة وخاتمتها: نظم الدرر، ج6، 344. هذا وقد امتازت هذه السورة الكريمة بعدد من الألفاظ تؤكد دلالة سياقها على محور سرعة استجابة الظواهر الكونية لمشيئة الخالق تبارك وتعالى، ومن ذلك: أ) لم يسند فعل (التكوير) إلى الشمس في القرآن إلا في هذه السورة، بينما أسند إلى الليل والنهار في آية أخرى وحيدة في سورة الزمر: 5، ب) ولم يذكر فعل (الانكدار) في القرآن

إلا هنا، ج) لم يسند الفعل (سُجِّرت) إلى البحار بهذه الصيغة إلا هنا، بينما وصف البحر بـ (المسجور) في سورة الطور، د) لم يسند الفعل (كشطت) إلى السماء إلا هنا، هـ) لم يقسم الله تعالى النجوم بقوله (فلا أقسم بالخنس) ولم يصفها بقوله (الجوار الكنس) إلا هنا، مما يدل على سرعة استجابة الظواهر الكونية لمشيئة الرب في الدنيا كما في الآخرة، و) وكذلك القسم بالليل بقوله (والليل إذا عسعس)، ز) وكذلك القسم بالنهار بقوله (والصبح إذا تنفس). ينظر للمراجعة: عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(78) البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 349. وقد ذكر سيد قطب كلاماً قريبا جداً من قول البقاعي في الجمع بين لفظ الرب والكريم: في ظلال القرآن، ج 6، ص 3848.

(79) البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 350. وقد فسر (الدين) بالجزاء في هذه الآية بالإضافة إلى البقاعي عدد من المفسرين منهم: الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8514، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 647، وسيد قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3851. بينما ذهب الزمخشري والشربيني إلى أن (الدين) في الآية يعني إما الجزاء، أو دين الإسلام. الكشاف، ج 4، ص 703، والسراج المنير، ج 4، ص 565. لكن السياق يرجح أن يكون (الدين) بمعنى الجزاء بدليل ذكر الملائكة التي تسجل أعمال الإنسان وأفعاله في الصحف، وبدليل تكرار عبارة (يوم الدين) ثلاث مرات.

(80) الشربيني، السراج المنير، ج 4، ص 566.

(81) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 183، 184. بتصرف. وقد أشار إلى رد العجز على الصدر لأن أول السورة ابتدأ بالخبر عن بعض أهوال يوم الدين، وختمت ببيان بعض أحواله. وقد أشار لذلك أيضاً البقاعي: نظم الدرر، ج 8، ص 353، وسيد قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3852. هذا وقد امتازت هذه السورة الكريمة بعدد من الألفاظ تؤكد دلالة سياقها على محور تهويل يوم الدين، ومن ذلك: أ) لم يسند الفعل (انفطرت) إلى السماء في سياق الحديث عن اليوم الآخر إلا في هذه السورة، وقد أسند هذا الفعل إلى السماء في سياق الحديث عن القيامة في آية أخرى وحيدة في قوله تعالى في سورة المزمل: (السماء منفطر به كان وعده مفعولا)، ب) لم يسند الفعل (انتثرت) إلى الكواكب إلا هنا، ج) وكذلك الفعل (فُجِّرت) لم يسند إلى البحار إلا هنا، د) وكذلك الفعل (بعثرت) لم يسند إلى القبور إلا هنا، وقريب منه في سورة العاديات (وبعثر ما في القبور)، هـ) ومن العجيب أنها السورة الوحيدة في القرآن التي تكرر فيها لفظ (يوم الدين) وذلك ثلاث مرات، ولم يتكرر هذا اللفظ في أي سورة أخرى، بالرغم من قصر سورة الانفطار، و) وقوله تعالى (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) لم يذكر في القرآن في موضع آخر بالصيغة ذاتها.

(82) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 31، ص 109، والآلوسي، روح المعاني، ج 15، ص 289.

(83) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 8533. وقد ذكر معنى آخر: أي وما ساق من الظلمة، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 227، وقد ذكر معنى آخر أيضاً: أي وما ظهر فيه من النجوم كأنه جامع لها.

(84) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 714، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج 2، ص 582.

(85) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3869.

(86) من المفسرين الذين قالوا إن هذه الآية متعلقة بالدارين: البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 373، والشربيني، السراج المنير، ج 4، ص 579، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30، ص 229.

(87) البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 373. وهو يشير إلى فائدة الالتفات في الآية من الخطاب إلى الغيبة.

(88) من لطائف هذه السورة التي تميزها عن السور الثلاث أنها اختصت بسجدة التلاوة، وذلك بعد بيان استسلام الكون لأمر الله تعالى، وكأن السجود في هذا الموضع يدعو الإنسان أيضاً لأن يكون مستسلماً لأمر الخالق تعالى فيبادر إلى السجود. وقد ذكرت سجدة التلاوة في أكثر من موضع في القرآن في سياق دعوة الإنسان إلى الاستسلام والسجود بعد بيان استسلام الكون لأمر الخالق سبحانه، ومن هذه المواضع قوله تعالى في سورة الرعد: (وللهِ يَسْجُدُ مَنْ في السَّماواتِ والأَرضِ طَوْعاً وكَرْهاً وظِلالُهُم بالغُدُوِّ والآصَالِ) الرعد: 15، وقوله: (وللهِ يَسْجُدُ ما في السَّمَاواتِ وما في الأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ والملائكةُ وهُمْ لا يِسْتَكبِرونَ * يَخَافونَ ربَّهم مِن فوقِهِم ويَفْعلونَ ما يُؤْمرونَ) النحل: 49، 50، وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجدُ لَهُ مَنْ في السَّماواتِ ومَنْ في الأَرضِ والشَّمسُ والقَمَرُ والنُّجومُ والجِبَالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ وكَثيرٌ مِنَ النَّاسِ...) الحج: بعض الآية 18.

(89) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 716، والشربيني، السراج المنير، ج 4، ص 579.

(90) ممن ذكر هذين الوجهين ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 30، ص 235. ولكن ابن كثير لم يقبل أن يكون تفسير الآية بمعنى المنَّة، وقال: (فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فله عليهم المنة دائماً سرمداً والحمد لله وحده أبداً، ولذا يُلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس). تفسير القرآن العظيم: ج 4، ص 661. وهو قول في رأيي له وجاهة. هذا وقد امتازت هذه السورة الكريمة بعدد من الألفاظ تؤكد دلالة سياقها على محور استسلام السماء والأرض والإنسان لله يوم القيامة، ومن ذلك: أ) لم يذكر قوله تعالى (وأذنت لربها وحقت) إلا في هذه السورة، وذلك مرة عن السماء ومرة عن الأرض، ب) وكذلك قوله تعالى عن الأرض (وإذا الأرض مدت)، ج) وكذلك قوله (وألقت ما فيها وتخلت)، د) لم يذكر القسم بالشفق إلا هنا، هـ) وكذلك القسم بقوله (والليل

إذا اتسق) بهذه الصيغة، و) وكذلك القسم بقوله (والقمر إذا اتسق) بهذه الصيغة، مما يؤكد استسلام هذه الظواهر الكونية لله في الدنيا أيضاً، ز) وكذلك قوله تعالى عن الإنسان (إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه)، ح) وكذلك قوله (إنه ظن أن لن يحور)، ط) وكذلك قوله (لتركبن طبقاً عن طبق)، ي) ومن العجيب أنها السورة الوحيدة التي ذكر فيها قوله (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) بدلاً من (بشماله) كناية عن كمال استسلام الإنسان يوم القيامة.

المراجع

الآلوسي، م. (1999) روح المعاني، ط 1 لبنان: دار إحياء التراث العربي. ج 15، ص 253 – 294.

الأصفهاني، ح. (2003) مفردات ألفاظ القرآن ، ط 3 سوريا: دار القلم. ص 459، 729.

الألباني، م. (1995) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ط 1 السعودية: مكتبة المعارف. ج 3 ص 69.

البقاعي، إ. (2011) نظم الدرر في تناسب الآية والسور ، ط 4 لبنان: دار الكتب العلمية. ج 8، ص 335 – 366.

البلوي، أ. (2010) موسوعة النبأ في إعجاز القرآن العلمي ، ط 1 الأردن: دار المأمون. ص 33، 42، 96.

البيضاوي، ع. (2003) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط 1 لبنان: دار الكتب العلمية. ج 2، ص 572 – 583.

الترمذي، م. (2001) سنن الترمذي ، ط 1 الأردن: دار الأعلام . ص 735.

حسب النبي، م. (1946) الكون والإعجاز العلمي للقرآن ، ب ط، مصر: دار الفكر العربي، ص290 – 292، 383، 384.

أبو حيان، م. (1992) البحر المحيط، ب ط لبنان: دار الفكر. ج 8 ض 430 – 448.

درويش، م. (2003) إعراب القرآن الكريم وبيانه ، ط 9 سوريا: دار اليمامة ودار ابن كثير. ج 8، ص 230 – 266.

الرازي، م. (1985) التفسير الكبير ، ط 3 لبنان: دار الفكر. ج 31، ص 67 – 113.

الزمخشري، م.(2006) الكشاف، ط 4 لبنان: دار الكتب العلمية. ج 4، ص 693 – 715.

أبو السعود، م.(ب ت) إرشاد العقل السليم ، ب ط لبنان: دار إحياء التراث العربي. ج 9، ص 114– 143.

الشربيني، م. (2004) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، ط 1 لبنان: دار الكتب العلمية، ج 4، ص 556 – 581.

الشلول، ب. (2014) آيات الله في الآفاق ، ط 1 الأردن: دار الكتاب الثقافي، ص 255، 256.

الطبري، م. (2009) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط 4 مصر: دار السلام، ج 10، ص 8485 – 8543.

ابن عاشور، م. (1997) التحرير والتنوير، ب ط تونس: دار سحنون. ج 30، 140 – 236.

ابن فارس، أ. (1993) معجم المقاييس في اللغة، ط 1 لبنان: دار الفكر. ص 849، 912.

الفيومي، س. (2004) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مع الله في السماء ، ط 1 مصر: مكتبة القدسي، ص 13 – 25.

قطب، س. (2004) في ظلال القرآن، ط 34 مصر: دار الشروق. ج 6، ص 3836 – 3870.

ابن كثير، إ. (2005) تفسير القرآن العظيم ، ط 2 السعودية: دار الدليل. ج 4، 636 – 661.

ابن منظور، م. (2005) لسان العرب، ط 4 لبنان: دار صادر. ج 13 ص 213.

النجار، ز. (2012) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ط 4 مصر: مكتبة الشروق الدولية، ج1، ص 64 – 70، ج 2، ص 59، ج 16.

النجار، ز. (2010) السماء في القرآن الكريم ، ط 5 لبنان: دار المعرفة، ص 200 – 232.

النجار، ز. (2008) السماء في القرآن الكريم ، ط 3 لبنان: دار المعرفة، ص 183 – 200.

ومن الأبحاث العلمية المحكمة:

ربابعة، م. (2010) تفسير القرآن الكريم على ترتيب النزول: منبعه وفوائده ، الأردن، مجلة دراسات – الشريعة والقانون، المجلد: 37، العدد: 1.

النصيرات، ج. (2013) التفسير الموضوعي وإشكالات البحث في المفاهيم والمصطلحات ، الأردن، مجلة دراسات – الشريعة والقانون، المجلد: 40، العدد: 1.

جلال، ي. (2016) المتشابه في القرآن ومعرفة تأويله ، الأردن، مجلة دراسات – الشريعة والقانون، المجلد: 43، العدد: 3.

References to The Day Of Judgment In Surah Al-Takweer And Surah Al-Infitar and Surah Al-Inshiqaq: A Comparative study

Omar Ali Hassan Arafat *

ABSTRACT

In the Holy Quran، it is common for several chapters (surahs) to focus on a common subject، such as Day of Judgment، Quranic stories، or specific events from the biography of the Prophet (PBUH). Nevertheless، each of these surahs has its own distinct character and style while handling a common subject. In this paper، a comparative study is conducted between three surahs which refer to the common subject of the Day of Judgment.These surahs are: al-Takweer، al-Infitar، and al-Inshiqaq. In the study، the special style and distinct character of each of the three surahs is explored with the aim of extracting useful and insightful information.

Keywords: Al-Takweer; al-Infitar; al-Inshiqaq; Day of Judgment.

* Ministry Of Education, Amman – Jordan. Received on 18/4/2017 and Accepted for Publication on 5/11/2017.